قرآن يملأ الإنسانية ترقى

سلسلة فقه القدوم على الله

قصة رحلة الخلود

الكتاب الثالث

على مشارف الجنة

وأهلا بريح الجنة

الأستاذ الدكتور

عبد السلام مقبل المجيدي

أستاذ الدراسات القرآنية/ كلية الشريعة/ جامعة قطر

الطبعة الخامسة

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

بصائر المعرفة القرآنية

(٣٦)

السلسبيل المورود

قصة رحلة الخلود

الكتاب الثالث

على مشارف الجنة

وأهوال يوم الجنة

الأستاذ الدكتور

عبد السلام مقبل المجيدي

السلسلة: المورود

قصة رحلة الخلود

الكتاب الثالث

على مشارف الجنة وأهل الجنة

تأليف

الأستاذ الدكتور

عبد السلام مقبل المجيدي

مراجعة

القسم العلمي في مؤسسة بصائر المعرفة القرآنية

تصميم الكتاب

محمد عبدالحميد عبدالله الزبيدي

moh.ab.ad1071@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ويجوز نشر الكتاب بعد أخذ الإذن من المؤلف

رقم الإيداع القطري ٢٠٢٥/٢٧٥ - الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٩٢٧١٧٨٣٢٠

الطبعة الخامسة

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

◆ **أيها المبارك.. أيتها المباركة:** عشنا في الكتاب الثاني: "إنها الساعة تلقي السعادة والإكرام الأعظم" من هذه السلسلة مع حِبِّنا الشاب المخبت الأوَّاب، وهو يتجاوز يوم القيامة الأهوال بعد الأهوال، إذ نجَّاه الله برحمته بصحبة صالحات الأعمال، وكانت آخر محطة فاز فيها المرور على جسر الأخطار.. المنصوب على فوهة النار..

ويأتي هذا الكتاب الثالث:

«على مشارف الجنة واهًا لريح الجنة»

لاستكمال الرحلة المبهرة لهذا الشاب المبارك باتجاه الجنان..

وقد تضمن خمسة مشاهد:

◆ **المشهد الأول:** إني أرى ما ليس عليه صبر.. يا قوم روِّحوا بنا إلى الجنة.

◆ **المشهد الثاني:** على مشارف الجنة التهيئة للدخول.

◆ **المشهد الثالث:** عند أبواب دار السعادة.. الاستقبال الحافل والمفاجآت الممتعة.

◆ **المشهد الرابع:** أخيرًا.. اتكاء الراحة الأبدية.

◆ **المشهد الخامس:** مشاهدُ مُبْهِرَةٌ، وذكرياتٌ مستحضرَةٌ. افتح عينيك: إنها الجنة!.. إنها الجنة!

على مشارف الجنة

وأهلا بريح الجنة

المشهد الأول

إني أرى ما ليس عليه صبر..
يا قوم روِّحوا بنا إلى الجنة

الوصول إلى الجهة الأخرى: ألا تهنئون بعضكم بعضًا بالنجاة؟

خلص عباد الله الصالحون من النار، ووصلوا إلى الضفة الأخرى عبر الجسر المخيف وكان ممن نجا صاحب القلب المنيب.. نجا وهو مندهشٌ فزعٌ مما تحته ومما أمامه.. نجا وهو يرى الخلائق عن يمينه وشماله.. فقومٌ يئنُّون.. وآخرون يزلون.. ينظر إلى كلِّ ذلك وهو لا يكاد يصدِّق أن قد نجا.. قبل لحظات كان الخوف يأكله يمزق فؤاده، ويغمس فيه الهلع القاتل أوتاده.. قبل برهة كان على فوهة الجحيم.. ومهوى عذاب الحميم.. لكنه نجا بفضل ربه ﷻ.. وخلف وراءه ذلك الرعب الذي لا يطاق.. الرعب الذي تطمس لهوله الأحداق.. ويرجف لمنظره القلب الخفاق..

◆ **انظر هناك لترى مشهد الرعب:**

ترى قومًا يخطفون بالخطاطيف والكلاليب، وآخرين ينتكسون على رؤوسهم،

وآخرين على وجوههم فتعلو الأرجل.. العويل والبكاء من حواليك تسمع له تتابعًا ودويًّا.. الشهقات والزفرات.. الرجاء والاستغاثات.. هناك تسمع الآهات المحزونات المرتفعات، ولكن لا مجيب ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨﴾ [الجاثية: ٢٨].

ولما وصل الفائزون إلى الجهة الأخرى رأيتَ كلَّ واحدٍ منهم يقول فَرِحًا جَذِلًا، غير مصدِّقٍ لنجاته، شاعرًا برحمة ربه: «الحمد لله الذي نجانا منك بعد إذ رأيناك..»[1]، إي والله الحمد لله.. ثم يقولون عبارة السعداء الذين لم يكن أمامهم أهمُّ من النجاة مما رأوا.. يقولون: «فقد أعطانا الله ما لم يعط أحدًا»[2]، إي وربي، لقد أعطاهم عطيةً عظيمةً ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].. أفلا يحق لهم أن يفرحوا؟!

بلى، والله حُقَّ لهم ثم حُقَّ..

وهكذا مضى الشاب الحبيب صاحب القلب المنيب ناجيًا من أخطار النار.. ناجيًا من عذاب النار.. ناجيًا من جحيم النار.. وآن الأوان للاستعداد للانطلاق إلى الجنة.. ولم لا؟ والجنة قد أزلفت لكم أيها المتقون غير بعيد.

حَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ••• مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ

وحَيَّ على روضاتِها وخيامِها ••• وحَيَّ على عيشٍ بها ليسَ يُسْأَمُ[3]

(١) الحاكم (٨٧٥١)، وجود الذهبي إسناده. ينظر: مختصر تلخيص الذهبي لمستدرك الحاكم ٧/ ٣٥٤٣.

(٢) السابق.

(٣) البيت لابن القيم من ميميته المشهورة. مدارج السالكين ١/ ١٤٢.

الرائحة الساحرة الزكية.. والنفحة العطرية البهية:

ومن مكان غير بعيد شممت رائحة تتضوَّع مسكًا، حتى تكاد القلوب من فرط الشوق لها ترتج وتنوح: إنها رائحة الجنة، ولِمَ لا يجد المنيب رائحتها وقد قال ﷺ:

«وَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ»[1]؟!

وهذا ربما يكون لنوع من الجنان، وإلا فنوع آخر يقول عنه ﷺ:

«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا فِي عَهْدِهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ»[2]..

لكأنَّ أريج الجنة يسبق إليك مبشرًا ليرتد إليك نَفَسُك بعد الأهوال العظيمة والمخاوف الجسيمة.. ها أنت الآن تتحرق شوقًا لرؤيا الجنان.. ولقيا أفضال الكريم المنان..

الجنة: بجمال أوصافها في القرآن أسهرت الخُطَّاب.. فكيف وهاهي ذي قد تزينت أمامكم بغير حجاب.. وانبعثت روائحها الزكية العاطرة تسلب الألباب؟!.. عندها أيها المنيب انطلقتم نحوها ولسان حال أحدكم: «إني لأرى أمرًا ما لي عليه

(١) ابن حبان (٧٣٨٢)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) ابن حبان (٧٣٨٣). قال الأرناؤوط: حديث صحيح.

صبر.. يا قوم روِّحوا بنا إلى الجنة»[١].

◆ مرسوم إلهي يغمر بدفئه الوجدان، ويطمئن الفؤاد الولهان: إنه جواز الدخول إلى عالم الأفراح في الجنان:

في انطلاقكم الحثيث نحو الجنة وُهِبتم جواز الدخول.. وتأشيرة الوصول كأن الجواز مكتوبٌ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنَّةً عالية.. قطوفها دانية[٢].

لقد استلمتم جواز الدخول، وجُزتم صراط الأهوال، وآن وقت الوصال لمحبوبٍ طالما أضنى محبيه السؤال..

◆ السابقون إلى الجنة.. وفي ذلك -لا في غيره- فليتنافس المتنافسون:

على مرأى من الخلق أجمعين، يتم توزيع الجوائز على الملأ، ويظهر نوعٌ من التكريم العظيم لمن يسبق إلى الجنة؛ إذ يحدد أسماء الأوائل السباقين إليها، ونزل إعلانٌ عامٌّ بهم.. إنهم وبكل فخرٍ: أوائل الثُّلَل التي تدخل الجنة.

وهكذا يتقدم الفائزون ومراسيم التكريم المهيب قد رُفعت أعلامها.. وبشريات

---

(١) قالها عبد الله بن غالب التابعي الجليل. انظر: حلية الأولياء٢/ ٢٥٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير٤/ ٤١٦، وانظر: العلل المتناهية٢/ ٩٢٨، وقد رواه الطبراني مرفوعًا في الأوسط (٢٩٨٧).. أورده ابن القيم في نونيته وفي حادي الأرواح. كما أورده غير ما واحد من أهل العلم، وتفصيل تخريجه في زوائد تاريخ بغداد رقم ٦٤٩.. وإنما أوردناه على منهجية الكتاب إذ لم نعده حديثًا فألحقنا به لفظة (كأن) طلبًا لمعناه إذ المعنى صحيح، كما لم نقوسه بقوسي الحديث. والجواز المذكور حاليٌ إن لم يكن مقاليًا. وراجع منهجية كتابة هذه السلسلة المباركة في آخر الكتاب.

الخير العميم قد ترددت أنغامها.. يتقدم المفلحون أمام أبصار الناس وأسماعهم، فيا لذة فوزهم! ويتشوف صاحب القلب المنيب أن يكون منهم..

الصَّائِمُونَ الْقَائِمُو ... نَ الْقَانِتُونَ أُولُو الصَّلَاح

الْمُهْتَدُونَ الْمُتَّقُو ... نَ السَّابِقُونَ إِلَى الْفَلَاح[1]

فاستمع نماذج لنداء المنادي على أولئك الطاهرين في مشهد من الخلائق أجمعين:

«الحمادون» عُظماء في الدنيا.. عُظماء في الآخرة:

تبدأ التهيئة المشوِّقة للفائزين ليستلموا جوائزهم، ويكرموا على رؤوس الأشهاد يوم القيامة «فينادي مناد سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم»، ويكرر النداء ثلاث مرات، فيا لحلاوة ذاك النداء المكرر المحبوب!.. ويا لنداوة صداه اللذيذ المرغوب!.. ويا لحسن وقعه على الأسماع والقلوب!.. فيتشوف الذين أعدوا لهذا اليوم عُدَّتَه، وأخذوا لهذا الموقف أهبته.. ويأملون ويأملون.. عندها يقول: «أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟» استمع للشرف كلِّه، والمجد كلِّه، وقل معي: اللهم اجعلني منهم برحمتك وفضلك وبرك وجودك، وبعد تكريمهم تنادى الثلة الأخرى.

(١) هواتف الجنان لابن أبي الدنيا، ص: ٧٩.

«أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار؟»، ويتم التكريم.. يا للنعيم!.. أغرق خديك بالدموع وقل: اللهم اجعلني منهم.

ثم يجيء نداء مميز آخر فـ«ينادي مناد: سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم، ثم يقول: أين الحمَّادون الذين كانوا يحمدون ربهم؟»[1].

فـ«أول من يدعى إلى الجنة الحمَّادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء»[2]..

إنه المغنم الرابح.. إنه المغنم الرابح أيها المبتلى في بدنه، إنه الفوز المحقق يا أيها المبتلى في جسده.. يا أيها المبتلى بكثرة ماله وهو لذلك شاكر.. يا أيها المبتلى بقلَّة ذات يده وهو مع ذلك صابر: أيُّ خيرٍ تحوزونه إن شكرتم الله وحمدتموه؟!.. أيُّ تكريمٍ عظيمٍ يرفعكم أمام الخلائق إن رضيتم عن ربكم في قضائه وقدره.. ولهجتم بحمده على كل حال.. حمدًا يستبطن الرضى.. ويسلم للقضاء؟!.. قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: ذاكرت أبا سليمان رحمه الله في الخبر المروي: «أول من يدعى إلى الجنة الحمَّادون»، فقال: «ويحك، ليس هو أن تحمده على المصيبة وقلبك يتعصَّى

(١) أول الحديث عند مسلم (٢٣٤)، وهذا اللفظ عند الحاكم (٣٥٠٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وذكر محققو المطالب العالية أن الحديث يرتقي إلى الحسن لغيره.

(٢) الطبراني في «الصغير» (٢٨٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٩٥: «رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد وفي أحدها قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه وإسناده حسن».

عليك، إذا كنت كذلك فارجع إلى الصابرين، إنما الحمد: أن تحمده وقلبك مسلِّم راضٍ»[1].

فأبشروا أيها الحمَّادون: أنتم أول الناس دخولًا الجنة فزيدوا في حمد ربكم حمدًا، واشكروا نعمة الله عليكم.. رضيتم عن الله ﷻ في قضائه فهاهو يرضيكم بنعمائه..

يا من آتاكم الله ﷻ الأموال والأجساد والأولاد.. اشكروا نعمة ربكم وزيدوا في حمده، فإذا تغيرت الأحوال حيث لا تستقر الدنيا على حال فزيدوا في حمده.

الحمدُ لله مَوْصُولًا كما وجبا ◆◆◆ فهو الذي بِرَداء العِزَّةِ احْتَجَبا

الباطِنِ الظَّاهِرِ الحقِّ الذي عَجَزَتْ ◆◆◆ عنه المدارِكُ لما أَمْعَنَتْ طَلَبا

علا عنِ الوصْفِ مَنْ لا شيءَ يُدْرِكُه ◆◆◆ وجَلَّ عن سَبَبٍ من أَوْجَدَ السَّببا

والشُّكرُ للهِ في بدْءٍ ومُخْتَتَمِ ◆◆◆ فاللهُ أكرَمُ مَنْ أَعْطى ومَنْ وَهَبا[2]

أيها الحمادون: أليس حسبكم أن يجعلكم الله ﷻ أول من يستلم الجائزة الكبرى، والسلعة الغالية؟!.. فهنيئًا.. هنيئًا.

«إخواني تفكروا في الحشر والمعاد، وتذكروا حين تقوم الأشهاد: إن في القيامة لحسرات، وإن في الحشر لزفرات، وإن عند الصراط لعثرات، وإن عند الميزان

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢١٠.

(٢) الأبيات للسان الدين الخطيب. ينظر: ديوانه، ص: ٤٥.

لعبرات، وإن عند الميزان لعبرات، وإن الظلم يومئذ ظلمات، والكتب تحوي حتى النظرات، وإن الحسرة العظمى عند السيئات، فريق في الجنة يرتقون في الدرجات، وفريق في السعير يهبطون الدركات، وما بينك وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات، وتقول: رب ارجعوني، فيقال: فات»[1].

وما زال صاحب القلب المنيب يشهد كلَّ ذلك ونفسه تهفو أن يكون ضمن فئةٍ من فئات السباقين إلى الجنة.

◆ **أيها الفقراء المستضعفون الحامدون الباذلون أبشروا فقد نجحتم في الابتلاء: أنتم المُقَدَّمون السابقون[2]:**

ونودي في الجمع العظيم بدخول فئةٍ الجنة قبل أن يبدأ الحساب، ونظر الخلق أجمعون.. من هؤلاء المكرمون؟ من هؤلاء المُشَرَّفون بدخول الجنة أمام الخلق أجمعين؟ من هؤلاء الذين يسعدون بالخلاص من موقف الأهوال الشديد، والحر العتيد؟

إنهم أول ثلَّةٍ يدخلون الجنة.. إنهم «الفقراء المهاجرون الذين تتقى بهم المكاره»؛ لكثرة عبادتهم، وإخبات أنفسهم، وبذلهم أرواحَهم، وزهدهم بما في أيدي الناس.. والفقر ليس لأنهم أرادوه بل بذلوا أسباب الرزق، لكن لم يُكتب لهم كما كتب لغيرهم.

(١) من كلام مشفق لابن الجوزي ﷺ. ينظر: مواعظ ابن الجوزي (الياقوتة)، ص: ٥٣.

(٢) حديث فقراء المهاجرين رواه أحمد (٦٥٧١)، والحاكم (٢٣٩٣)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٢٥٩، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢١٠: «رواه الأصبهاني بإسناد حسن، لكن متنه غريب».

هؤلاء السابقون كانوا «إذا أُمِروا سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت للرجل منهم حاجةٌ إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره» الله! الله! إنهم المدفوعون بالأبواب، الذين لا يؤبه لهم؛ لأنه لا جاه لهم ولا مال.. لا وساطة لبلوغ المنال، لكنهم يصبرون ويحمدون الله ﷻ، ويقومون بأمره.. تلاشت المظاهر الكاذبة.. اضمحلَّت الرسوم قاطبة.. فما ثم إلا حقائق العبودية تنفع أصحابها.. ورايات الافتقار لله ﷻ ترفع أربابها..

فالآن.. الآن جاء دورهم ليسبقوا الناس، وقد كانوا يُسبَقون.. هذا يوم الاحتفاء والتقديم.. ومشهد التتويج والتكريم..

الآن يومهم.. وشتان بين يومٍ أُخِّروا فيه في الدنيا، وبين يومٍ يقدمون فيه، ويتأخر المترفون الغافلون عنهم فيه في الآخرة.. هنا تظهر الموازينُ الحقُّ وقِيَمُ ومقاماتُ الخلائق وَفْقَ ميزان القسط الإلهي.

هَلِ الدُّنْيَا وما فيهَا جَمِيعًا ... سِوَى ظِلٍّ يَزُولُ مَعَ النَّهَارِ
تَفَكَّر أَيْنَ أَصْحَابُ السَّرَايَا ... وَأَرْبَابُ الصَّوافِنِ والعِشَارِ
وَأَيْنَ الأَعْظَمُونَ يَدًا وَبَأْسًا ... وَأَيْنَ السَّابِقُونَ لِذِي الفِخَارِ
وَأَيْنَ القَرْنُ بَعْدَ القَرْنِ مِنهُمْ ... مِنَ الخُلَفَاء والشُّمِ الكِبَارِ[1]

(١) مجموع القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/ ٤١٢.

احتفال خاصٌ بهم:

وعندما يُنادى عليهم أمام الملأ يهيئ الله ﷻ لهم احتفالًا خاصًّا يشهده الجميع، فـ«إن الله ﷻ ليدعو الجنة يوم القيامة فتأتي بزخرفها وزينتها»، وعند ذاك يميزهم عن غيرهم بنداءٍ من جديد، ولكنه نداءٌ بالأوصاف، ليعرف قيمتَها أهلُ الجمعِ يوم القيامة..

«فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وقوتلوا وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي؟..» فيتقدمون، فيقول الجبار لهم: «ادخلوا الجنة».. هذا يوم الحصاد.. واستلام جوائز الكريم الجواد.. هذا عطاؤنا ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

لا تدري أيهما ألذ: البشرى بدخول الجنة أم مناداة الله ﷻ لهم على الملأ أجمعين، أم نسبة عبوديتهم إلى الخالق «عبادي» نسبة تشريفٍ وتقدير وتكريم؟ عندها «يدخلونها بغير حساب».. تسقط هنا كلُّ الألقاب.. تهدر هنا كلُّ الأنساب والأحساب.. ولا يبقى غير وسام العبودية لرب الأرباب..

ونشهد الآن مشهدًا عجيبًا؛ إذ تتقدم فئةٌ أخرى من الخلق تغار منهم.. فمن ذا الذي يغار؟ انظر الآن من يحسدهم من يغبطهم على تقدمهم.. من؟ إنهم الملائكة..

«وتأتي الملائكة فيسجدون فيقولون: ربنا نحن ملائكتك، وخزنتك، وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا».

◆ **تصوَّرِ المشهد!** تقول الملائكة الأطهار، الكرام الأبرار: نحن أجدر المخلوقات تأهُّلًا أن ندخل الجنة قبل كلِّ الخلق.. ربنا! لا تدخل الجنة قبلنا أحدًا.

لكن الله الجليل يبين لملائكته سبب جدارة هؤلاء، واستحقاقهم لدخول الجنة «فيقول: عبادي لا يشركون بي شيئًا.. تُتقى بهم المكاره.. يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء».. «عبادي» يا للطف والحنان.. والاصطفاء والامتنان!.. «عبادي» يا للإشادة والتشريف!.. يا للمقام الرفيع المنيف!..

عندها تتساءل الملائكة عنهم بصورةٍ أكبر، وهم متلهفون.

فتقول: «ربنا نحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟».

ولكن الله ﷻ يقول القول الفصل ويحكم بالحق.. في مشهدٍ عظيمٍ، كم يود من حضر أن يدخل ضمن هذه الفئة التي يتكلم الملك الجليل الأعلى عنها مع ملائكته..

تابع المشهد.. تابع وعاين بقلبك فإن العين غافلةٌ عن الحقيقة.

«فيقول الرب ﷻ: هؤلاء عبادي الذين قوتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي» وهكذا سبقوا الناس.. ويا لهفتاه.. أكان صاحبنا منهم.. هاهنا المنافسة الحق.. ومنادي الحق ينادي: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

اطمئن قلبًا أيها المجاهد في سبيل الله.. واسكن نفسًا.. واهدأ روعًا.. إن غراسك ليانع.. وإن شأوك لواسع.. وإن نجم سعدك لطالع.. وتالله ما جهادك بضائع..

اندهاش خزنة الجنة من هذا الفوج السابق[1]:

تابع رحلتهم.. تابع رحلتهم إلى الجنة لترى العجب:

«يأتون إلى باب الجنة ويستفتحون» يستفتحون ليدخلوا الجنة، «فتقول لهم الخزنة: أَوَقد حوسبتم؟!».

خزنة الجنة من الملائكة تندهش في ذهول.. يحارون في سر القبول.. وسرعة الوصول.. ونيلهم المأمول.. كيف جاؤوا بهذه السرعة؟! كيف غادروا موقف العرض والناس في أهواله؟! وهل حوسبوا وتم حسابهم؟!

فيجيبون بهذه العبارة الرصينة العجيبة:

«قالوا: بأيِّ شيءٍ نحاسب؟ وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟»..

نعم، بأيِّ شيءٍ نحاسب.. يا لله! بأيِّ شيءٍ نحاسب.. خفَّتْ ظهورهم من أثقال الدنيا وهمومها فخفَّت عليهم الإجابة هنا (بأيِّ شيءٍ نحاسب).. اللهم اغفر لنا خطأنا وشططنا وإسرافنا في أمرنا..

فتكون النتيجة أن تبادر الملائكة بفتح أبواب الجنان لهم:

«فيفتح لهم، فيقيلون فيها أربعين عامًا قبل أن يدخلها الناس» عند ذلك ترى الملائكة تفتح لهم وتدخل عليهم! إي وربي، تدخل عليهم من كلِّ باب مُحَيية.. مسلِّمةً.. مرحبةً.. مهنئةً ﴿يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد: ٢٣].. يحيونهم بالتحية الخالدة العطرة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤].

---

(١) هذا الجزء من القصة رواه الحاكم (٢٤١٨)، وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي، قال أبو إسحاق الحويني في "إسعاف اللبيث بفتاوى الحديث" ٢/ ٢٥: «وليس كما قالا، والصَّوابُ أنَّه على شرط مُسلِمٍ».

سلامٌ عليكـم أيُّهـا القـومُ طيِّبٌ ◆◆◆ كزَهْرِ الرَّوابي بالشَّـذى يتضوَّعُ

سلامٌ علـى غُرِّ الوجـوهِ وبِيْضِها ◆◆◆ فنورُ هداها في الأساريرِ يسطعُ[1]

ومـن أكـرمُ ضيفًـا مـن ضيـوف الكريـم سـبحانه؟!.. ولـذا اسـتحقوا أن يكـون في اسـتقبالهم الملائكـة المكرمـون.. بهـم يرحبـون.. ولتحيتهـم يهرعـون.. ولتهنئتهـم يسـتبقون.. فيـا للضيـف والمضيـف ووفـد الاسـتقبال والضيافـة!..

ورأيـت في أوائلهـم وأرفعهـم مكانًـا ومنزلـة رجلًا فقيـرًا جمـع بيـن الفقـر والنيـة الحسـنة؛ إذ كان يـود لـو أن لـه كنـوزَ الأرض ينفقهـا في سـبيل الله، فأخـذ أجـر الفقيـر الصابـر بفعلـه، والغنـي الشـاكر بنيتـه.. وكـم رفعـت نيـةٌ عبـدًا وأركسـت آخـر.. يـا رفعـة الفائزيـن!.. طوبـى.. طوبـى.. ويـا ندامـة المسـتأخرين الخاسـرين!

حبيبٌ من أهل الجنة سبق.. يخاطب حبيبه: أيْ أخي ما حبسك؟[2]

أيـا محـب الجنـة وحبيبهـا: دونـك قصـة عجيبـة لاثنيـن مـن المؤمنيـن علـى مشـارف أبـواب الجنـة.. إذ «التقـى مؤمنـان علـى بـاب الجنـة: مؤمـنٌ غنـيٌّ، ومؤمـنٌ فقيـرٌ كانـا في الدنيـا»، فأسـرعت يـد الـصبر بالمؤمـن الفقيـر، حتـى أدخلتـه الجنـة، وأخـرَّت موازيـنُ الحسـاب صاحبَـه فـ «حبـس الغنـي مـا شـاء الله أن يحبـس» للحسـاب فـإن كلًّا بحسـبه،

(١) ديوان محمد العيد آل خليفة، ص: ٢٣٨.

(٢) القصـة رواهـا أحمـد (٢٧٧٠)، وانظـر مجمـع الزوائـد١٠/ ٢٦٣، وقـال في الترغيـب والترهيـب٤/ ٦٥: «رواه أحمـد بإسـناد جيـد قـوي».

ومنادي الحق ينادي: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، ولما انفضَّ الحساب عن الغني بنجاته «أُدْخِلَ الجنة»، ثم التقى الخليلان الصاحبان في الجنة الغني والفقير، فسأل الفقير صاحبه بلهفةٍ وحبٍّ وشوقٍ وقلقٍ:

«أي أخي، ماذا حبسك؟» ما الذي أخر دخولك؟ «والله لقد احتبستَ حتى خفت عليك» قلقت عليك وأنت صاحبي على درب الإيمان.

رد عليه صاحبه الغني بحبٍّ وفرحٍ:

«أي أخي، إني حُبِسْتُ بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا.. ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده ألف بعيرٍ كلها آكلة حمضٍ لصدرت عنه رواء»[1] فقد حوسبت على مثقال الذر من مالي: كيف اكتسبته وفيما أنفقته، وأخذ مني الخوف والرهب.. وخشيت من سوء المنقلب.. حتى أغاثني الله برحمته.

◆ **ثلة الأوائل: لا حساب عليكم أصلًا فماذا تنتظرون؟ هاهي أبواب الجنة مشرعة.. هلمَّ فاقصدوا منها واحدًا:**

ولو ترى هناك الثلة الأولى وهي تنطلق إلى أبواب الجنة قبل الناس كلهم.. ينطلقون؛ إذ لماذا ينتظرون؟ بل ماذا ينتظرون؟ وهم لا حساب عليهم.. لا حساب عليهم، فهل للنفس المتلهفة التي شرفها الله ﷻ أن تتأخر عن الجنة.. لقد شملهم المرسوم الإلهي حينما خاطب الله ﷻ سيد الخلق بقوله: «يا محمد، أدخل من أمتك

(١) الحمض ما كان مرًا من النبات.

من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»[1].

◆ **هنا ربما هفت نفسك -أيها المخبت المنيب، أيها الطامح المستجيب-، فتساءلت: من هم الأوائل الذين يدخلون؟! من هم الأوائل الذين يسبقون؟! من هم الأوائل المكرمون؟!**

ربما سمع الجمع الإعلان المهيب عن الموكب الأول المختار النجيب بصوتٍ عذب رطيب حبيب.. ربما سمعوا المنادي ينادي بفحوى قول نبينا ﷺ:

◆ «ليدخلنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ ألفًا، أو سبعمائة أَلْفٍ». ◆

انظر إليهم: هاهم المختارون الفائزون المتفوقون اللامعون، تشع وجوههم من شدة الجمال والإضاءة يدخلون الجنة: «مُتَمَاسِكِينَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ، وَوُجُوهُهُمْ على ضوء القمر ليلة البدر»[2].

الله!.. يا الله يا حي يا قيوم يا منان يا بديع السموات والأرض آتنا من ذلك أوفر الحظ والنصيب.. هاهم يدخلون الجنة ولا حساب عليهم «وهم زمرةٌ من أمة محمد ﷺ هم سبعون ألفًا بغير حساب»، وربما رأيت من أوائلهم الصحابي الجليل ذا الهمة العالية: عُكَّاشة بن مِحْصَن رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧٧) واللَّفظُ له، ومسلم (٢١٩)

وتنطلق فئة المقدَّمين ممن لا حساب عليهم.. تنطلق قبل الناس كلِّهم.. يقولون للخزنة: على أيِّ شيءٍ نحاسب؟

يا لهفة عبدٍ وهو يراهم مكرمين، يراهم قبل الناس منعمين! يا لهفة عبدٍ وهو يراهم مقدمين!.. كانوا للطاعات سابقين، وفي فعل الخيرات متنافسين.. فحازوا ما قصَّر فيه أكثر العالمين.

نجوم لامعة.. لا بل أقمار ساطعة:

ولكن لعلك -أيا طالب الجنة- تتعجل الأمر لتعرف كيف صورهم، ما هيئاتهم، وتقول: ألا تصفهم لنا فتروي الظمآن، وتملأ العطشان؟

فانظر إليهم: إنهم «أول زمرةٍ تلج الجنة صورهم في صورة القمر ليلة البدر» و«تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»، زدْ فأمعِنْ النظر فيهم:

«[أخلاقهم على خلقِ رجلٍ واحدٍ.. على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعًا في السماء]، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون فيها، ولا يتغوطون فيها: آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الْأَلُوَّةُ[1]، ورَشَحُهم المسك، ولكل واحدٍ منهم زوجتان: يرى مُخُّ ساقهما من وراء اللحم من الحُسن.. لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم على قلبٍ واحد، يسبحون الله تعالى بكرة وعشيًّا»[2]..

(١) يعني أنَّ بَخُورَهم الَّذي تتَّقدُ به مَجامرُهم هو العُودُ الهِنديُّ، الَّذي هو مِن أطيبِ الطِّيبِ وأزكى البَخورِ.

(٢) البخاري (٣٣٢٧)، والزيادة عند مسلم (٢٨٣٤).

أنوارهم ترنو إليها العيون.. وجمالهم يحار فيه الواصفون.. ونعيمهم لا يحصيه العادُّون..

هذا الخبر فكيف العيان؟! وهذا الوصف فكيف المشاهدة والبيان؟! ألا تسرج مشعل العزيمة أيها التائه المقصر في دنيا الوهن، المستلذ بما يعتريك من نومٍ ووسن؟!..

نداء الحب، وهتافات التهاني.. تُزف للسابقين.. أأنت أيا صاحب القلب المنيب منهم؟

ونادى منادي الحق مبينًا التقسيم التام للسعداء وللأشقياء.. يا لتعاسة الأشقياء!:

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: ٨ - ١٠].

يا رفعة التوفيق للإنسان حينما يصبغ حياته بالإيمان، ويجعلها وقفًا على رضا الرحمن! لقد انقسم السعداء إلى فريقين: أصحاب يمينٍ، وسابقين.. ولأن نفسك تهفو إلى الملأ الأعلى، والقسم الأرفع، والمكان الأسمى، فقد نظرت إلى الثناء على السابقين راجيًا أن تكون منهم فسمعت الثناء الفوري عليهم، ورأيت بعضًا منهم.

يا أطياف الذكرى.. املئي قلبي بنور الحق..

وتراءت لك منازل السابقين، ونداء الحق يهتف ثناء عليهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

◆ **لكأنَّك تسمع الهتافات احتفاءً بهم:**

◆ **أيها السابقون:** لقد بلغ حالكم منتهى الفضل والرفعة المبينة، حتى لا يوجد وصفٌ يصفكم، فألسنة الواصفين عن بيان عظيم فوزكم مستكينة.

◆ **أيها السابقون:** لقد بلغتم أقصى ما يطلبه الطالبون، وبذلتم أعظم ما يبذله المحبون، وارتفعتم إلى أَوْج الدرجات التي يتنافس فيها المتنافسون.. فماذا تريدون؟ ماذا تريدون وأنتم اليوم.. أنتم السابقون.

◆ **أيها السابقون:** قد وصلتم ذروة السيادة.. والمحل الأرفع من الريادة.. والغاية القصوى من السعادة.. فهنيئًا لكم ثم هنيئًا هذه الوفادة والإفادة..

◆ **أيها السابقون:** أنتم السابقون في الدنيا إلى الإيمان.. أنتم السابقون في الدنيا إلى مقاومة الهوى وفعل الإحسان، فأنتم السابقون اليوم إلى الجنان. لربما تساءل الجمع: من هم السابقون؟ فجاء جواب الرفع: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١١]

◆ **أيها السابقون:** ألم تكونوا في الدنيا تبذلون المُهَج لتكونوا من المقربين؟.. كم حرك مُهَجَكُم قولُ ربِّكم «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه»[1]، فاليوم يوم الجزاء فأنتم اليوم.. أنتم المقربون.. ألم يعدكم ربكم: «ولئن سألني لأعطينه»، فسلوا ما بدا لكم.. فهل لكم عندنا إلا الوفاء جزاءً بما كنتم تعملون..

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

وهاهنا تسكب عبرات المشتاقين، وتلهج القلوب طمعًا في كرم رب العالمين:

فغُفْـرًا إلـهَ الكـونَ مُـنَّ برحمةٍ ... وأجزلْ لنا منْ مكرماتِ المواهبِ

ومَنْ يكتسبْ عفوَ الإلهِ وقُرْبَهُ ... فقد حازَ في الدَّارين خيرَ المكاسِبِ

ومَـنْ رامَ فضلَ اللهِ أعطاهُ سُـؤْلَهُ ... ونالَ بفضلٍ منهُ عُلْيَا المراتِبِ

فَخُـذْ بنواصينـا إلى الخيـر ربَّنا ... وأصلِحْ لَنا مِنْ شأننا كُلَّ خارِبِ[1]

نداء الكبير المتعال: أذهبَ الحزن، وأزاحَ الوهن، وأراح الفؤاد:

وفي خِضمِّ تلك الأهوال المتتابعة يسمع صاحب القلب المنيب مع سائر الأبرار نداءً لا مثيل له ولا شبيه، ملأ القلب بالغبطة والسرور، وأزاح ما اعترى النفس من الخوف والحزن والثبور.. سمعه يناديه وصحبَه المخبتين: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨]، فلا تسل عندها عن فيض الطمأنينة وسكون البال اللذين يغمرانهم، ويملآن قلوبهم رضًا وحبورًا.. وسعادة وسرورًا.

لربما تشوَّف بعض عباده -عزَّ جاره- من المعاندين، في دار ابتلاء العالمين.. تشوَّفوا لمَّا سمعوا كلمة: ﴿يَٰعِبَادِ﴾ فظنوا أنهم يمكن أن يدخلوا فيها، فالكل عباد الله، وانظر إليهم.. انظر إلى الناس وهم يرون أهل السبق والحظوة عند المليك الكريم يُنَادَون هذا النداء في ذلك اليوم العظيم.. يوم الأهوال المتلاحقة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ

(١) الأبيات لسعيد بن دحاج -وفقه الله-. ينظر ديوان «عتب القوافي»، ص: ٥٤.

﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨]، فيطمع فيها من ليس من أهلها، ويرجوها الناس كلهم، وربما تساءلوا: مَنِ العباد المقصودون بذلك يا رب؟ مَنِ العباد الفائزون؟ فالمؤمن يبغي أن يتأكد من أنه المقصود، والكافر يرجو ويتمنى.. وأمام الأسئلة المتلهفة يتتابع النداء الرباني الذي يشرح الصدور، ويملأ القلوب بالغبطة والسرور، حتى يسمعوا نداء المنادي:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾ [الزخرف: ٦٩]

هم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾، إنهم الذين صدَّقوا بكتاب الله ورسله وكانوا قانتين، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم وكانوا مسلمين.. كانوا أهل خضوعٍ لله ﷻ بقلوبهم وقبولٍ منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم ﷻ[1]، فنِعْمَ سعي الفائزين.

فييأس منها عند ذلك من أَلْهَتهم الحياة الدنيا وكانوا من الغافلين، وتتلوها هتافات الحقيقة تكشف عوج الطريقة، وتعلن القرار الحاسم والحكم الصارم في حق من تأبى على ربه وتمرد على إلهه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فعدموا لذَّتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم»[2]، فيا لعظم

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٥/ ٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٢١٥.

الخسار.. ومرارة البوار.. وحر يوم صبيحته إلى النار!

نعم، فمنادي الحق قَطَّع آمالهم، كما أُحْبِطَت أعمالهم عندما نادى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾ [الزخرف: ٦٩]، فوقعت حسرة المتحسرين، وزادت خيبة النادمين، وارتفعت أعلام الموقنين، وظهرت كرامة المفلحين.. فيا شوقًا لذاك المقام!.. تصوَّرِ الحدث، واهتف معي غير متردِّدٍ: اللهم فاجعلني في ذلك اليوم من أفضل عبادك الفائزين.

ولقد صار نداء الحق: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾ [الزخرف: ٦٨، ٦٩] لحنًا شجيًّا يطرب له المسلمون، ونداء أمانٍ يفرح به المفلحون، ويتنعم بسماعه، وبتكراره، وبظهوره، وبارتفاعه المخلصون.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ نداءٌ سماويٌّ عذبٌ تطمئن له القلوب الخائفة.. تنتعش له الأرواح الواجفة.. يهبط عليها كقطرات المطر الندية.. أو نسمات الصباح العليلة.

في طريق الشوق إلى الجنة.. تحيةٌ وتثبيتٌ من أهل الأعراف:

ومضى صاحب القلب المنيب مع موكب النور والفلاح نحو الجنة-دار النجاح- وفي الطريق بين الجنة والنار رأى حجابًا حاجزًا بين دار المتقين ودار الفجار.. رأى السور العظيم الفاصل بين الجنة والنار.. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾، حيث يوجد صاحب القلب المنيب وصحبه الطاهرين أولو النعمة، حيث النعيم الظاهر، والسناء الباهر، والخضرة والجمال الذي يأخذ بالأنفاس والخواطر ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد:

[١٣] حيث أهل النار من كلِّ كافرٍ ومنافقٍ دعيٍ كذَّاب.. حيث الظلمة والعذاب.. والآلام والأوصاب.. والأغلال والآصار.. في دار الخسران والهلكة والبوار..

ونظر إلى السُّوْر فكان كثيفًا عظيمًا يمنع وصول أثر إحدى الفئتين إلى الأخرى.. كما رأيت أعرافه وهي شُرفه المُشْرِفَةُ التي تطل على الجهتين من الجنة والنار.. لترى نعيم المتقين وثبور أهل دار البوار.

وهناك رأى رجالًا ماكثين في الأعراف.. لا هم في الجنة ولا هم في النار.. ينتظرون أن ينتهي حشر الناس من خاسرين ومفلحين أبرار.

تَتبَّعَ أخبارهم ليسأل عن حالهم، وعرفَ شأنهم فعلم أنهم فئتان:

◆ **الفئة الأولى المكرمة:** وهم فئام من الأنبياء، والأولياء والصالحين يشرفون على الفريقين من أهل السعادة والشقاوة حين يؤخذ بكل فريق إلى منزله من جنة أو نار.

◆ **والفئة الثانية:** رجالٌ من أهل الجنة يتأخر دخولهم الجنة.. هم قومٌ تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، والمشهد يوحي بتدفق الدموع، وهيجان قلبٍ ولوع.. متى ينالهم الأمر الإلهي، وتشملهم الرحمة الربانية بالدخول إلى دار السلام.. فبينما هم كذلك في ترقبهم وخفقان قلوبهم إذ اطلع عليهم الرحمن الرحيم، فأمرهم بألذ أمرٍ مرَّ عليهم فقال: قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم.

وأصحاب الأعراف يُطِلّون على كلا الفريقين.. فهم ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ من المؤمنين

والكفار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف:٤٦]، فيعرفون المؤمنين بعلاماتهم من بياض الوجوه وحسنها، ويعرفون الكفار بعلاماتهم من سواد الوجوه وقبحها.. هنا تمايز لا خلطة فيه.. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٠]..

إنها إشراقة وجوه أهل التوحيد.. وظلمة وجه كل فاجر كفار عنيد.. وسواده القاتم.. كظلمة الليل الفاحم.

عندها يُقبِلون على المؤمنين آملين فيبشرونهم بالجنة قبل دخولها.. فيطمعون فيها، وإذا رأوا أهل النار دعوا لأنفسهم بالسلامة من العذاب، ومن مجانبة أهل الشقاق والارتياب.

ونظر صاحب القلب المنيب فرأى أهل الأعراف يلتفتون إلى جهتين مختلفتين، ويُكَلِّمون فريقين متضادين:

◆ فيلتفتون إلى أصحاب الجنة:

وينادونهم حبًّا لهم وَوَلَهًا وتبشيرًا وزيادة في التنعيم، فيقولون لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦].

سلامٌ عليكم من محبٍّ مُتَيَّمٍ ... مَشوقٍ إذا جَنَّ الظَّلامُ لهُ جُنّا

سلامٌ عليكم من غَريٍّ بذكرِكم ... إذا هَبَّ خَفَّاقُ النَّسيمِ له حَنّا

سلامٌ عليكم لا فُجِعنا بقُربِكم ... ولا قدَّرَ الرَّحمنُ بُعْدَكمُ عنّا[1]

(١) ديوان صفي الدين الحلي، ص: ٤٩٨.

ومن حسن أهل الجنة لا تكاد أبصار أصحاب الأعراف تنصرف عنهم.. كيف لا وجمالهم أخاذ.. وملامحهم نورانية.. ولكن يخافون من مصير أهل النار، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ يدعون ربهم بصوتٍ يسمعه أهل النار تقريعًا وتبكيتًا وزيادة في العذاب: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٧] فسألوا الله ﷻ ألا يجعلهم مع أهل النار الذين ظلموا أنفسهم، وذلك على سبيل الدعاء والتلذذ في مناجاة الله ﷻ..

◆ **أيا صاحب القلب المنيب:** اسمعهم وتنعَّم بما آل إليه حالك وأنت تتجه نحو جنة ربك.

من النعيم.. تبكيت المستكبرين، والثناء على الفائزين:

ثم التفت إلى مشهدٍ مثيرٍ لك، حدث لأهل الأعراف مع فرقةٍ عرفوها بسيماها، إذ زاد عذاب الفجار بتقريع الخلق لهم ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٨] فبكتوهم وعَنَّفوهم جزاءً وفاقًا، كما كان هؤلاء الظالمون يُعَنِّفون المؤمنين من قبل.. اسمع ما قاله لهم أصحاب الأعراف:

﴿قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٨] ما أغنى عنكم جمعكم للدنيا، واستكباركم عن الإيمان.. أأغنت عنكم حشودكم.. حاشيتكم.. تغطرسكم عن سماع نداء الحق، وأوامر القرآن؟ لا.. لا فـ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٨].. ذهب كل ذلك.. ولم تبق لكم سوى الحسرة والندم.. والقهر والألم..

قال لهم أصحاب الأعراف: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ [الأعراف: ٤٩]، والتفت صاحب القلب المنيب ليرى إلى من يشير أصحاب الأعراف، فرآهم يشيرون إلى المستضعفين والفقراء من المؤمنين الذين سبقوا الخلق بالتنعم في الجنان..

آه! كم كان المستكبرون يزعمون أن الله لو أرسل خيرًا.. لو كان الدين خيرًا.. لو كان الإيمان خيرًا لما تسابق إليه الضعفاء!.. ما أغباهم!.. وما أخسر مسعاهم!.. جمعوا إلى كفرهم انتكاس الفطرة.. ووضاعة الفكرة.. تَذَكَّر ذلك فالدنيا أمامك: كم يقسم المستكبرون أن الله لا ينال هؤلاء الفقراء المستضعفين برحمة.. ويقولون: لو كانت هناك رحمة من الله لكنا أحق بها لأننا أُعطينا وفُضلنا وأوتينا ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٨﴾ [آل عمران: ٧٥].

يا للتوبيخ! أهل الأعراف يُذَكِّرون هؤلاء المستكبرين باستكبارهم وضحكهم وقهقهاتهم على الفقراء.. أفأغنى عنهم ذلك من الحق شيئًا؟ أنفعهم ذلك في يوم الحقيقة؟ ورأيت أهل النار يوبَخون فيزدادون غمًا وحسرة..

ثم يلتفت أصحاب الأعراف إلى أولئك الفقراء المستضعفين في الدنيا -أكان صاحب القلب المنيب معهم ليزداد فخرًا وحبورًا- فيقولون لهم مباركةً وتهنئة: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ [الأعراف: ٤٩] وهنا -وبعد مدةٍ يعلمها الله- يقال لأهل الأعراف الطامعين في دخول الجنة أيضًا: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾ [الأعراف: ٤٩][1].

(١) جمعًا بين التفسيرين.

◆ **أيها المخبت الأواب:** إني أراك تنظر إلى هذا المشهد، وترى ما رزقك الله من الشرف والكرامة.. فلا تملك إلا الحمد ابتهالًا وشكرًا وامتنانًا..

◆ **أخي الحبيب: انظر ذلك بعين البصيرة ثم اهتف معي رغبًا ورغبًا:**

اللهم أعطني من الخير فوق ما أرجو، واصرف عني من السوء فوق ما أحذر.. اللهم علق قلبي برجائك، واقطع رجائي عمن سواك. إلهي ومولاي: اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها، وتعلم حاجاتنا فاقضها.. كفى بك وليًّا وكفى بك نصيرًا يا رب العالمين.

المشهد الثاني

على مشارف الجنة
التهيئة لدخول الجنة

التهيئة النفسية لدخول الجنة: على صراطٍ ثان.. جسرٍ آخر.. لكن اطمئن:

هاهي ذي أعلام الجنة لاحت.. وتضوعت روائحها وفاحت.. فلتُهيأ الأجساد والأرواح لها، فبعد أن تجاوزوا الصراط، انطلق صاحب القلب المنيب يُيَمِّمُ وجهه قبل الجنة.. وفرحة الخلاص بتجاوز الصراط، والفوز في الاختبار لا تكاد توصف، وهو الآن يجتاز طريق النجاح بسعادةٍ وفخرٍ وشوقٍ ولهفةٍ، يطِلُّ شعاع السعادة على وجهه، وتُزهر مشاعر الفخر في قلبه، فإذا به مع صحبه من أهل الجنة يُفاجَؤون بقنطرةٍ جديدة.. إنه صراطٌ جديد.. ولكن ماذا يعني ذلك؟ هل يعني هذا أنهم مطلوبون لحسابٍ جديد؟ ولربما بدأ يستعرض شريط حياته الدنيا من جديد لينظر في غدراته، وفجراته، وتقصيراته، لينظر في كلِّ غدواته وروحاته، عسى ألَّا يجد فيها ما يجعله معرَّضًا للزلل في هذا الصراط الجديد.. ولكن مهلًا! فهذا الصراط يختلف في شكله وهيئته عن الأول.. فإن الأول أكثر إخافةً في دقته، أكثر رعبًا في حدته..

واجتمع المؤمنون بعد أن خلصوا من النار عند هذا الصراط الجديد وحبسوا فيه «حبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار»[١] فلماذا؟!

لقد أتاهم القول الحق، والنبأ اليقين، وبدأ الخوف يدب في أوصال بعضهم، إذ هذا صراط القصاص من المظالم البينية «مظالم المؤمنين بينهم»، ربما بكى بعضهم يا لهفتاه!.. كم ظلمنا بعضنا؟! كم تكلمنا غيبةً في بعضنا؟! كم اغتبنا وجرَحنا وجَرَّحنا واجترحنا؟! كم أدمت سهام كلمات بعضنا قلوبًا؟! كم كسرت ألسنتنا نفوسًا؟! فهل معنى ذلك أننا سنهوي في هذه العقبة بعد إذ نجانا الله ﷻ من أكبر منها؟!

لربما لاحت لهم صورةٌ مخيفةٌ شاهدوها عن بعض الناس في موقف الحشر، وتردى أصحابها في النار عند صراط جهنم: إذ جيء برجل عُرف بالمفلس، وقد جاء هذا الرجل بعملٍ صالحٍ كثيرٍ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، وكان من أمة محمد ﷺ، وبينما هو يرى عمله الصالح مستبشرًا تبددت حسناته فجأةً!.. لماذا؟ لأنه «يأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا»، وهكذا كان جرمه في حق الناس، وكانت النتيجة الرهيبة أنْ «يعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٢].

---

(١) حديث هذه القنطرة عند البخاري (٢٤٤٠) وغيره.

(٢) مسلم (٢٥٨١).

لربما ارتعد صاحب القلب المنيب: فهل سيؤول حال بعض هؤلاء إلى حال هذا المفلس؟

◆ **تابعِ المشهد وانظر حالتك في الدنيا، وسل الله الغفران:**

يبدؤون في هذه القنطرة «فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا»، ولكن الله ﷻ يصلح بين المسلمين الذين قد اجتازوا المراحل السابقة الخطرة كرامةً لهم.

صَفُّوا جميعًا فوق تلك القنطره ◆◆◆ قبل الدخول إلى الجِنان المُبهره

صُفُّوا من الظُّلم الذي ما بينهم ◆◆◆ بقصاصِ عدلٍ والنُّفوس محضَّره

لا ظُلمَ كلَّا.. ما تلاشت ذرةٌ ◆◆◆ من حقِّ إنسان.. وربك أخَّرَه

ثم انثنوا لدخولِ جنَّاتٍ لهم ◆◆◆ فيها النَّعيمُ وذاك فضلُ المغفره[1]

ومن نماذج الإصلاح بينهم ومقاصتهم الحقوق: مشهدٌ صوَّره النبي ﷺ كأننا نحضره:

يُحضر النبي ﷺ أمامنا عيانًا موقفًا عجيبًا مهيبًا يحدث لبعض الخيرة الناجين من الصراط الأول، حينما جاء «رجلان من أمَّة النبي ﷺ فجثيا بين يدي ربِّ العزَّة فقال: أحدهما يا ربِّ خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا ربِّ فليحمل من أوزاري»، لقد فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء حين حكى مثل هذا الموقف لما رأى من حاجة

(١) للدكتور/ عامر الخميسي -وفقه الله-.

الناس لمن يحمل عنهم أوزارهم، ثم قال: «إن ذاك اليوم عظيمٌ يحتاج الناس أن يُحْمَلُ عنهم من أوزارهم»، فقال الله تعالى للطالب: «ارفع بصرك فانظر في الجنان»، فرفع رأسه فقال: يا ربِّ أرى مدائن من ذهب، وقصورًا من ذهبٍ مكللة باللؤلؤ»، ثم تلهف وتعجب ونادى متشوفًا: لأيِّ نبيٍّ هذا؟ لأيِّ صدِّيقٍ هذا؟ لأيِّ شهيدٍ هذا؟ فقال له ربه: «هذا لمن أعطى الثمن»، قال: «يا ربِّ ومن يملك ذلك؟» قال: أنت تملكه. قال: بماذا؟ قال: «بعفوك عن أخيك» قال: «يا رب فإني قد عفوت عنه» قال الله ﷻ: «فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة»[1].

وهكذا أصلح الله ﷻ بين المسلمين، ونقَّاهم مما حدث بينهم من شوائب وأوزار.. فليحذر الذين يتتبعون عورات المسلمين.. ويبغون إخوانهم ظلمًا وعلوًّا وعدوانًا...

ويظل القصاص بينهم حتى يدخلوا الجنة خالين من كلِّ غلٍّ.. مُنَزَهين من كلِّ مظلمة.. مطهرين من كلِّ وزرٍ.. طابت أنفسهم وطُيِّبت، ينزع الله ﷻ ما في قلوبهم من غلٍّ، ويطهرها من كلِّ حسدٍ وبغض، ومنادي الحق ينادي: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]، لقد تأهَّلوا بذلك لدخول الجنة نفسيًّا وروحيًّا.. ذهبت الأحقاد والبغضاء.. فما ثم إلا صفاء ونقاء.. وصدق وإخاء..

(١) لمَّا خرجه ابن كثير في التفسير ٢/ ٢٨٦ قال عنه: «ولنذكر هاهنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده» ونحن ذكرناه تبعًا لذلك.

يا خاطب الجنة: نعمة نزع الغل من أعظم النعم التي تُهدى لك في آخرتك:

إذ لَكَمْ طال عناؤك في معالجة نفسك في الدنيا عسى أن ينزع الله ﷻ عنها الجانب المظلم، ويطهرها من دنس الغل والضغينة.

لَكَمْ دعوتَ لنفسك حينها: «اللهم آت نفسي تقواها، زكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[1].

لَكَمْ كنت تدعو «اللهم اسْلُلْ سَخِيمة قلبي»[2]، ولكن النوازع تظلُّ لاصقةً بالإنسان في الدنيا ابتلاءً واختبارًا لا تنفك عنه ليعلم الله ﷻ أيتمكن الإنسان من ضبط نفسه أم لا؟

أما الآن.. أما الآن فمن أعظم النعم التي تتقلب فيها أن الله ﷻ يسلُّ سخيمة صدرك كاملةً، فتصبح روحُكَ خفيفةً، وصدرُكَ واسعًا، ونفسُكَ مُطمئنةً. وانظر إلى أهل الجنة وقد رُسمت هذه الصورة لهم حينما تطلُّ عليهم لتراهم كما امتن عليهم ربهم ﷻ، فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فإن مما «ينعم الله ﷻ به على أهل الجنة نزع الغلِّ من صدورهم، والنزع: الاستخراج، والغلُّ: الحقد الكامن في الصدر..-فقد- أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغلِّ في الدنيا»[3]..

---

(١) مسلم (٢٧٢٢).

(٢) أبو داود (١٥١٠)، الترمذي (٣٥٥١)، وقال: حسن صحيح، وصححه البغوي في شرح السنة ٥/ ١٧٦.

(٣) تفسير القرطبي٧/ ٢٠٨.

إذ كيف تطيب الجنة لمؤمن وتتم هناءته بها وفي قلبه قَدْر ذرة من غلٍّ أو حقد أو حسد لبعض إخوانه؟!..

«حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أُذن لهم بدخول الجنة»، وعندها تناديهم الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[الزمر: ٧٣]، طابوا.. أجل.. طابوا.. فإنهم «إذا قطعوا جسر جهنم حُبسوا على قنطرةٍ بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذّبوا وطُيِّبوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» وهكذا تطيبوا وطُيِّبوا من أرجاس المظالم في الدنيا.. وهم في الطريق إلى جنة ربهم يطيبون طيبًا بعد طيب.. فهاهنا طُيِّبَتْ أرواحهم..

وبعد قليلٍ ستطيب أجسادهم فنادهم في مكانهم:

إليكم الأشواق أُشرِعَتْ.. لمجلسكم الدموع تتابعت.. لموكبكم النفوس تشوَّفت.. لنوركم أنوار القلوب أُسْرِجَتْ.. لحياتكم الأرواح هفت وتشوَّقت.. أيا أهل الجنة.. فمتى لقاء الصدق؟ متى؟

طابوا قلوبًا وطابت معهمُ سِيَرٌ ... وأنفسٌ طابت الدُّنيا بمحياها

فأدركوا من نعيم الله ما طلبوا ... وعاينوا من جِنانِ الخُلد أعلاها

وإنما يرتجي العُقبى بآخرةٍ ... مَنْ طابَ نفسًا لأجلِ الله زكَّاها[1]

(١) الأبيات لسعيد بن دحاج -سدده الله-.

هاهي الجنة قد أزلفت غير بعيدٍ.. أتستطيع أن تُفصِح عن مشاعرك؟!

أيها الأبرار.. أيها المتقون: لقد وقاكم الله ﷻ شر يوم التلاقي، جاء يوم الصدق الذي تعبس فيه الوجوه حتى يسيل منها عَرَقٌ كالقَطِران[1]، يومئذٍ ليس لأحدٍ من الله من واقٍ.. أما أنتم أيها المفلحون فقد لقَّاكم ﴿نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١﴾ [الإنسان: ١١] فانظر لإشراقٍ بعد إشراقٍ!

وهناك أيا عُشَّاق الجنة:

هل تستطيعون أن تملكوا زمام الفرح في الصدور والبِشْر أن يشرق على الوجوه؟ لقد لقَّاكم الله ﷻ ﴿نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١﴾.. ألا تنظرون.. ألا تنظرون إلى أنفسكم حين لقيتم ربكم في خير حال ترجونه، وأبهى صورة وأجملها وأزهاها وأحلاها.. لقد آتاكم وأعطاكم نضرةً وحسنًا وسرورًا وبِشْرًا وحُبُورًا.

ولكن أهو مجرد بهاءٍ ونضرةٍ في الوجه لا يعكس ما داخل الصدر؟!

كلا! بل أعطاكم سرورًا حقيقيًّا في قلوبكم، وحبورًا طيبًا في صدوركم[2].. إنه أعظم ما وعدهم به مولاهم حين قال: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥﴾ [محمد: ٥].. سكينة النفس.. صلاح البال والخاطر.. الرضا عن الله.. والرضاء بعطاء الله.

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ١٣٥.

(٢) قاله الحسن ومجاهد، وابن زيد وغيرهم على تفصيل. انظر: تفسير القرطبي ١٩/ ١٣٦.

هاهي ذي أبواب الجنة لَكَأنك تنظر إليها وقد كُتِبَ عليها: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢].

◆ انطلقت نحوها لكأنك تهتف بهتاف جعفر الطيار:

يا حبذا الجنةُ واقترابُها ... طيِّبةٌ وباردٌ شرابها

كأنك انطلقت نحو أبوابها.. تهتف دامعًا.. ولكن دمعة الفرح:

خذني إلى بيتي..أرِحْ خدي على عتباته

فرحًا أُقبِّل والهًا بالحب مقبض بابهِ

خذني إلى وطنٍ أموتُ مشرَّدًا

إن لم أُكحِّلْ ناظري بترابهِ[1]

هناك انبعثت الذكريات، واغرورقت المُقَلُ، بالدموع السوافح..

◆ أيها المنيب:

كم صبرت على المصائب.. حتى أحببت لعظيم الأجر الشدائد والنوائب؟!.. فإليك الجزاء العظيم على تلك المناقب.. فقد جزاك ربك بما صبرت جنة وحريرًا.. وحماية لك من الآلام وأجرًا كبيرًا.

(١) انظر: صلاح الأمة ٥/ ٦٨٣.

أيها المنيب:

كم حبست نفسك عن لبس الحرير.. استجابةً لأمر العلي الكبير؟!.. كم صبرت على سخرية أهل الدنيا منك رغبةً فيما عند العزيز الغفور؟!.. فجزاك على ذلك جنة وحريرًا.. وحفظًا لك في يوم الأهوال وحبًّا كبيرًا.

ها أنت تستعرض شريط حياتك الدنيا بكل آلامه وآماله وأحلامه.. بكل خيره وشره.. وحُلْوه ومُرِّه.. بمسراته وأفراحه.. وغصصه وأتراحه.. تستعرض مجاهداتك الطويلة في ذات الله ﷻ.. طاعاتك قرباتك.. وتستعرض خجلًا زلَّاتك وغدراتك وفجراتك.. تستعرض كل ذلك وغيره ثم تنظر أمامك.. تنظر إلى ما حَبَاك الله من فضل كبير.. وحسن مصير.. فلا تتمالك دموعك من الفرح الغامر.. وعذب المشاعر.. التي ملأت منك الباطن والظاهر..

وفد الرحمن المظفر ينطلق نحو الجنة لا حائل إلا مسافة الطريق فكيف اللقاء؟

وسار الموكب المبارك الميمون يُيَمِّم وجهه تلقاء الجنة، وصاحب القلب المنيب يسير معهم مُكَرَّمًا مرفوع الهامة؛ استبشارًا بالفوز والفلاح، مطأطئ الرأس؛ تواضعًا لله وشكرًا على نعمه.. نعم ساروا..

فيا أيها الكون أخبت في محراب مجد المتقين، فقد نالوا أفضل الكرامة ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]..

انظر إليهم يتحركون معًا.. يساق الذين اتقوا ربهم من الأنبياء والصديقين

والشهداء والصالحين، وممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته.. فيا فوز الطائعين!...

يساقون سعداء نجباء أزكياء .. يساقون على النجائب.. مواكب تتلوها مواكب.. وفدًا يتلو وفدًا إلى الجنة.. جماعةً تلحقها جماعة: جماعات المقربين السابقين، ثم جماعات الأبرار من أصحاب اليمين.. كلُّ طائفةٍ مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكلُّ صنفٍ مع صنفه.. كلُّ زمرةٍ تناسب بعضها بعضًا، فانظر إليهم بعين الابتهاج والسرور؛ إذ أنت ترجو أن تشاركهم في مسيرة السلام المتجهة إلى دار السلام وموكب الفوز المتجه إلى دار الرضوان[1].

وفرقٌ بين سَوْقٍ وسَوْقٍ في ذلك اليوم العظيم: فإن سَوْقَ أهل النار يتم بطردهم إليها بالخزي والهوان، والتأنيب والتقريع والتبكيت والخذلان، كما يفعل بالأسارى، إذا سيقوا إلى حبسٍ أو قتلٍ، أو تبكيتٍ فيه كل الهوان.

أما سَوْق أهل الجنان فهو سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان.. لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يُشَرَّفُ ويُكَرَّم من الوافدين على بعض الملوك فَشَتَّان ما بين السَّوْقين.. يحشر الله ﷻ المتقين إليه وهو الرحمن.. يحشرهم إليه وفدًا مكرمين.. حتى قال علي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]: **(أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سَوقًا، ولكن يؤتون بنُوقٍ**

(١) انظر: تفسير ابن كثير٤/ ٦٦.

لم تر الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأَزِمَّتُهَا الزَّبَرْجَدُ، فيركبون عليها حتى يضربوا (يقرعوا) أبواب الجنة[1]، إنها المراكب الفخمة، وإنما قال: (نُوق) تقريبًا للمعنى، وفرقٌ بين نُوقٍ ونُوقٍ.

فانظر إليهم وركائبهم تسرع بهم إسراعًا إلى دار الكرامة، كما يفعل في العادة بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك.

تصوَّرْ صاحب القلب المنيب.. المخبت السابق القريب وقد استوى على مركبته المزهرة، وهي تنقله إلى دار النعيم، ثم تأمَّل ذلك والملائكة تحيط به من كلِّ جانبٍ تكريمًا وتشريفًا وصيانةً وإعزازًا.. بتواضعه في الدنيا رُفِعَ في الآخرة، ومن رام الاستكبار والعلو في الدنيا وُضِعَ في الآخرة ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].. قد قضى الله ﷻ لا يجتمعان في قلبٍ مخبتٍ للرحمن.

◆ أيا مهجة القلب وصنو الروح وتوأم الفؤاد:

ألا تداركت اليوم لتلحق بالقوم؟..

ألا تحاملت على جراحاتك المثخنات وتابعت الخطى وإن على عرج وتعثر في الخطى، مناديًا متعرضًا لرحمات الله وسابغ جوده؟

---

(١) الطبري في تفسيره ١٦/ ١٢٧.

أَسِـيرِ خَلْفَ رِكَابِ النُّجْبِ ذَا عَرَجٍ ◆◆◆ مُؤَمِّلًا جَبْـرَ مَا لاقَيْتُ مِـنْ عِوَجِ

فَإِنْ لَحِقْـتُ بِهِمْ مِنْ بَعدِ مَا سَـبَقُوا ◆◆◆ فَكَمْ لِرَب السَّمَا فِي النَّاسِ مِنْ فَرجِ

وَإِنْ ظَلَلْـتُ بِقَفْـرِ الأرضِ مُنْقَطِعًا ◆◆◆ فَمَا عَلَى عَرَجٍ فِي ذَاكَ مِنْ حَرَجِ[1]

على مشارف أبواب الجنة:

والموكب يقترب من الجنة.. إذا بمعالمها تتهادى للناظرين، وأنوار بهائها تتجلى للمفلحين.. فإذا لها أبوابٌ متعددة تبلغ ثمانية أبواب[2].

ولربما تساءلت: من أي بابٍ سيدخل المقدَّمون؟ وسمعتَ نداء التكريم: أين أنتم أيها السابقون.. ويُنادى أصحاب العبادات.. كل عبادةٍ من بابها المخصص.. فأين المحبون؟ أين المتيمون؟ ألا يبادرون إلى الأعمال.. عساهم يحاولون الوصل فيصلون؟!

ويُدْعَى المرء من الباب الذي يكون فيه أكثر اجتهادًا في عبادته: فـ«من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دُعِيَ من أبواب الجنة».. «وللجنة أبوابٌ: فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»[3]..

---

(١) ينظر: منار السبيل في شرح الدليل ١/ ٤.

(٢) وقيل أكثر من ذلك. انظر تفسير القرطبي١٥/ ٢٨٦.

(٣) البخاري (١٨٩٧)، ابن خزيمة (٢٤٨٠).

لَكَأني بكل باب منها قد اختص بمزيد مزية تناسب أهله الداخلين منه.. فباب الصلاة قد أشرقت حوله الأنوار.. إنها أنوار الصلاة الخاشعة الزاكية تُرفع من عباد الله الأخيار.. وباب الصدقة قد رفرفت عليها أعلام الإكرام لمن أقرض الله ﷻ من ماله بالجهر والإسرار.. وباب الجهاد قد لاحت عليها بيارق العز والفخار للمجاهدين الأبرار.. وباب الريان قد كُسي نداوة وطراوة تكرمة لمن أظمؤوا أكبادهم في هواجر النهار طلبًا لمرضاة العزيز الغفار.

وقد يدعى المتنافسون في الخيرات من هذه الأبواب جميعًا، وأبو بكرٍ رضي الله عنه منهم وأنعم..

وقد يدعى الإنسان ليدخل من أي بابٍ منها شاء.. ومن هذا الصنف «من أسبغ الوضوء.. وقال عند فراغه من وضوئه: أشهد أن لا إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»[1]، ولأجل ذاك فتحت له الأبواب الثمانية.. والمنادي ينادي: ادخل من أيها شئت.. ويشوِّق الحبيب المصطفى ﷺ أمته لنيل هذه الفضيلة فيقول في حديث يزهو بالبشارة لمن يفهم الإشارة، ويصحح على مراد الله ﷻ مساره: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) الترمذي (٥٥)، وقال: «وَهَذَا حَدِيثٌ فِي إِسْنَادِهِ اضْطِرَابٌ وَلَا يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»، والنسائي (١٤٨) دون قوله: (اللهم اجعلني من التوابين...)، وهو صحيح دون هذه الزيادة كما عند مسلم (٢٣٤)، قال ابن حجر في «نتائج الأفكار» ١/ ٢٤١: «لم تثبت هذه الزيادة في هذا الحديث، ، فإن جعفر بن محمد، شيخ الترمذي، تفرّد بها، ولم يضبط الإسناد...»، ثم ذكر له شاهدًا من حديث ثوبان، ولا يصلح أن يكون شاهدًا، فتبقى ضعيفة، كما قال الأرناؤوط ومن معه في تخريج سنن الترمذي.

له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ؛ أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء على ما كان من العمل»[(١)].

هاهنا السباق.. فهل يترك الفرصةَ أيُّ راغبٍ هائمٍ مشتاق؟!

وترى سعة بابٍ من أبوابها.. فترى شيئًا عظيمًا.. عندها احلف كما حلف النبي ﷺ.. قل وأنت ترى المشهد العظيم للباب.. احلف وقل: «والذي نفسي بيده إن ما بين المِصْراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى»[(٢)] وهذا بابٌ صغير من أبوابها، وكما أن الجنان درجاتٌ بعضها فوق بعضٍ فأبوابها كذلك.. فباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها.. وكلما علت الجنة اتسعت فبابها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة[(٣)]..

نعم!.. ما بين مكة وبصرى الشام.. مجرد بابٍ صغير.. يا شوقاه! مجرد بابٍ من أبواب الجنة.. انظر إليه بعين البصيرة قبل عين البصر ثم اهتف.. كم هي الدنيا غرَّارة؟!

---

(١) البخاري (٣٤٣٥)، أخرجه بسنده وقال: قال الوليد، حدثني ابن جابر، عن عمير، عن جنادة وزاد: (من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء).

(٢) البخاري (٤٧١٢)، مسلم (٣٢٧).

(٣) انظر: فيض القدير ٥/ ٤٣٤.

أما إذا أردت أن تعرف سعة الباب الرئيس.. أيا حبيباه.. مجرد معرفة لأن بصرك لا يمكن له أن يستوعبه فقد «ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة.. وليأتين عليه يوم وهو كظيظٌ من الزحام»[1]، فهذا أوسع الأبواب، وهو الباب الأعظم، ولعله الباب الرئيس المتوسط لسائر الأبواب، وهو الذي ترى فيه نبيك ﷺ يوم القيامة يمسك بحلقته فيقعقعها حتى يفتح لأمته والأمم من بعدها.. وإذا كان ما بين عضادتيه أربعين عامًا.. أفتراه يمكن الإحاطة به.. أو إدراك سعته على الحقيقة؟! تنعم بالنظر.. وانتظر الفوز الأعظم.

وهناك ترى من سعة باب من أبواب الجنة ما يجتازه سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف.. تراهم جميعًا متماسكين.. متماسكين آخذٌ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر[2].. تماسكهم هنا يحكي تماسكهم وألفة قلوبهم وأخوتهم ووحدة غايتهم واتفاق مقاصدهم في ذات الله ﷻ في حياتهم الدنيا..

هذا هو الباب الأعظم.. فماذا تملك؟! إلا أن تدمع العين، ويحن الفؤاد، ويخفق القلب، وتهتف بلسانك بلهجةٍ مضطربةٍ آملةٍ: اللهم إنا نسألك الجنة.. رب أسألك الجنة.. رب فبرحمتك وبكل اسمٍ هو لك أسألك الفردوس الأعلى..

---

(١) مسلم (٢٩٦٧).

(٢) البخاري (٣٢٤٧).

يا صاحب القلب المنيب وأنت تقف على مشارف دار السلام:

على مشارف الأبواب لربما تراءى لك هناك على الباب الذي يتجه الموكب نحوه.. لربما تراءى لك شارة على الباب قد كتب عليها: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس:٢٥]، وتتابعت على صاحب القلب المنيب الذكريات تترى.. كلٌّ موقفٍ منها يفرض نفسه من عظم البِشر والبشرى والبشائر..

- **أيا حبيباه!..** في دنياك: كم دعوت ربك العظيم: اهدنا الصراط المستقيم؟!.. فهاهو ذا جزاؤك.. جزاء كريم.. تُهدى به بإيمانك إلى جنات النعيم.

- **أيا حبيباه!** كم رجوت العليَّ العلام.. ليوصلك إلى دار السلام.. حبًّا وشوقًا بصلاةٍ وصيام؟!.. هاهي دار السلام.. تفتح أبوابها للبررة الكرام، وكنت أيها الهمام.. كنتَ.. يا لدموع الفرح المسفوحة.. من الذين سيقوا إليها تزفهم الملائكة بسلام!

- **أيا حبيباه!** هاهي دار السلام.. وأنتم إليها تنظرون.. دار السلامة من كلِّ بليةٍ وآفة ومكروه.. هذه هي التي كنتم إياها تنشدون.. إنها دار الله ﷻ واسمه سبحانه وتعالى السلام.. سلَّمها وسلَّم أهلها من كلِّ ما يحذرون.. تحيتكم فيها سلام أيها المتقون.. الملائكةُ.. يدخلون عليكم فيها من كل بابٍ سلام عليكم بما صبرتم.

العلي العظيم يهديكم من لدنه سلامًا.. إنه ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس: ٥٨]، يرتفع هنالك الفائزون ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٧].

إنها الجنة:

«فواعجبًا لها كيف نام طالبها؟! وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟! وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟! وكيف قَرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها وحورها؟! وكيف قرَّت دونها أعين المشتاقين؟! وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟! وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟! وبأي شيءٍ تعوضت عنها نفوس المعرضين؟!»[1]..

أيُّها الخاطبُ المؤمِّلُ فانظر ... وصفَ عُرسٍ إلى النَّعيم المقيمِ

لَكَأنَّ القلوبَ تُصْغي ببِشْرٍ ... لِسَلامٍ مِنْ قَولِ ربٍّ رحيمِ[2]

كم جعل الله لك من كرامةٍ على البشر في الدنيا والأخرى يا سيدي يا رسول الله:

وعند أبواب الجنة ترى الله -عزَّ جاره- يُكَرِّمُ نبيه- تكريمًا بعد تكريم، فقد جعلهم يحتاجونه لفصل القضاء.. هاهم يحتاجونه ليُدْخِلَهم الجنة، ويستفتحها لهم، كأنهم يبقون خارجها لم يؤذن لهم بدخولها.. ورؤي الحبيب المخبت صاحب القلب المنيب ضمن أمة النبي ﷺ العظيمة يوم القيامة في عرصاتها، فكانت أعظم الأمم، ونبيها أعظم الأنبياء أتباعًا مصداقًا لقول رسولها:

(١) حادي الأرواح، ص: ٥.

(٢) لشاعرنا المبدع: عبد الرحمن العديني.

«أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا، [وأنا أول من يقرع باب الجنة]»[١].

ولقد حدثنا ﷺ عن هذا الباب المبارك من أبواب الجنة، فقد رآه ﷺ في الدنيا بعينه، فقال:

«أتاني جبريل عليه السلام فأخذ بيدي، فأراني بابَ الجنَّة الذي تدخُلُ منه أمتي»، فقال أبو بكر: يا رسول الله وَدِدتُ أني كنتُ معك حتى أنظرَ إليه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَا إنَّك يا أبا بكْرٍ أوَّلُ مَن يدخُلُ الجنةَ من أُمتي»[٢].

أكمل المشهد:

فهناك يشفع النبي ﷺ للمصطفين الأخيار من أمته في دخول الجنة فينساب عباد الله الموحدون إلى جنة ربهم يغشاهم الرجاء السابغ، والسعادة الغامرة يتقدمهم في

(١) مسلم (٣٣١).

(٢) أبو داود (٤٦٥٢)، وضعفه الألباني والأرناؤوط، وذكر عمرو عبد المنعم سليم في تخريج تحقيق «صفة الجنة» لابن أبي الدنيا (٢٣٠) أن إسناده منكر، لكنه حسن الحديث بعد ذلك.

المشهد البهيج السيد المكرم والنبي المعظم ﷺ يجلله البهاء والسناء حيث يأخذ بحلقة باب الجنة فيقعقعها.. عندها تنادي الخزنة: من هذا؟ فيجيب:

-محمد.. بتواضعٍ يقول ذلك نفسي له الفداء ﷺ.

فيهللون له مرحبين، ويقومون له مكرمين، ويبينون كرامته على الملأ أجمعين فيقولون:

- مرحبًا بمحمد.. بك أمرتُ.. ألا أفتح لأحدٍ قبلك، [ولا أقوم لأحدٍ بعدك]..

«فيفتحون للنبي ﷺ، ويرحِّبون فيقولون: مرحبًا»[1].

صلى عليك الله يا سيدي يا رسول الله عدد أوراق الشجر، وعدد حبات المطر، وعدد ما خُلق من البشر..

يا شافعَ الرُّسلِ الكرامِ ومَنْ به ◆◆◆ يرجون في يومِ الحسابِ قَبُولا

يا صفوةَ اللهِ الأمين لوحيه ◆◆◆ مَنْ أَمَّ جاهَك أَحرزَ التَّأميلا

وأعزَّ مَنْ ولَّاه أمرَ عبادِه ◆◆◆ فَحَبَاهم إحسانَه الموصولا

إن كنتُ ما أعددتُ زادًا نافعًا ◆◆◆ أعددتُ حُبَّكَ شافعًا مقبولا[2]

وهكذا فُتِّحَتْ أبوابها.. ولكننا سنترك تفاصيل هذا العرض الرائع الذي صار

(١) الترمذي٥/ ٣٠٨.

(٢) الأبيات لابن زمرك. ينظر ديوانه (١٦٧).

حلم الأخيار، ورؤيا الأبرار.. لِنَنْساب مع صاحبنا في كراماته ونعيمه.

يا حبيب الجنة: الجنة تطالب بك.. وتشتاق إليك:

كم مرةً كنت تطلب الجنة في يومك؟! فتهفو الجنة إليك وتشتاق وينبعث من أعماقها نداء حنون: رب إن عبدك فلانًا يسألك إياي.. اللهم فأدخله إياي، وتقول مُلِحَّةً في الطلب: اللهم أدخله الجنة.. اللهم أسكنه إياي[1].

◆ إنها الجنة:

تناديك مشتاقةً متلهفة لقدومك تلهُّف الحبيب لحِبْه، وتهيم فيك محبةً مُتَيَّمَةً تقول: يا رب قد طابت ثماري، واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي، فعجل إليَّ بأهلي، تطلبك وتذكرك شوقًا وهيامًا وتتيُّمًا.. فقط حَقِّقْ الشرط لتكون لها وليًّا محبًّا..

◆ إنها الجنة:

تسأل ربها أهلها وتطلبهم وتتعجل قدومهم.. وأنتم أيا أهلها تسألونه إيَّاها.. وترغبون فيها..

---

(١) ينظر: أحمد (١٢١٧٠)، وقال محققو المسند: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، ولفظ: (اللهم أسكنه إياي) ورد عند البزار كما في كشف الأستار (٣١٧٥)، قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٧١: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ يُونُسُ بْنُ خَبَّابٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ».

والملائكة تسألها للمصطفين الأخيار من عباده.. تسألها لكم.. والرسل يسألون الجليل المتعال إياها لهم ولأتباعهم..

◆ **إنها الجنة** اجتمعت خير الخليقة على طلبها.. أكرم بها وأنعم.

انظر هناك: إنها أبواب الجنة المفتوحة:

انطلق الموكب المبارك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] سعدوا.. وطابوا وسُرُّوا وفرحوا بقدر كلِّ ما يكون لهم فيها من النعيم.. وإذا كان النعيم لا يوصف، فسرورهم لا يمكن أن يُقَدَّر.. قد كانوا يرونها وهم في موقف العرض، والبيانُ القرآني يصف حالهم وحالها وصفًا دقيقًا حينها فيقول ربي -عزَّ جاره- ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١﴾ [ق: ٣١].. فالآن قد جاؤوها فماذا سيعتريهم من البِشْرِ والسرور والسعادة.. الجواب معروفٌ، ولذا حُذِف الجواب من الآية.. أي فلا تَسَلْ عن مقدار سعادتهم وأنسهم وبشرهم.. لا تَسَلْ عن غبطتهم.. لا تَسَلْ عن سرورهم..

هناك جاؤوا والأبواب قد فتحت لهم استقبالًا وحفاوةً.. فتحت قبل أن يصلوا لكرامتهم على الله تعالى.. فتحت أبوابها لهم كما تفتح الخدم باب المنزل للضيف قبل قدومه، وتقف له منتظرة حضوره.. فرحًا واستبشارًا لقدومه..

◆ **أيها القوم المشتاقون:** هاهنا.. هاهنا تصلون ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ [ص: ٥٠].. ولأنها دار الكرامة والإكرام، ومنزل الجود التام، والإنعام على الدوام فـ«إنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي، وأما النار فإذا

دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الهمزة: ٨] أي: مطبقة»[١]..

إن الجنة دار الكريم والكرم ومنزل ضيوف الله الكرام.. وبيوت الكرام دومًا ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ لا تغلق أبوابها، ولا توصد مداخلها مبالغة في الإكرام والجود..

وعندها تسمعون منادي الحق ينادي في زمركم وجمعكم: ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]، يقال لكم ذلك قبل الدخول حيث عاينتموها عن بُعْدٍ[٢] فيزيدكم هذا النداء سرورًا وابتهاجًا.

أيُّ بِشْرٍ وقد أتوها فقامتْ ... باشتياقٍ تُفَتِّحُ الأبوابا

«بين جَنْبَيَّ للوصول حنينٌ ... فهلُمُّوا فقد أطلتُ ارتقابا»[٣]

أيها المفلحون: آن أوان تكملة التهيئة الجسدية لدخول الجنة:

وقف موكب المتقين عند بابٍ من أبواب الجنة.. هناك رأوا منظرًا لا يقوم له بصرٌ في حسنه ورونقه، وصاحب القلب المنيب يترقبه الآن وينظر إليه..

لقد رأى «عنده شجرةً تخرج من تحت ساقها عينان تجريان»[٤].. نعم.. هما عينان

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص: ٥٣.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ٢٠٨.

(٣) لشاعرنا المبدع: عبد الرحمن العديني.

(٤) حديث الشجرة وتلقي الولدان إلى آخره خرجه الضياء في الأحاديث المختارة (٥٤١)، كما أخرجه ابن أبي شيبة

تجريان تترقرقان بماء ينساب في هدوء يخاتل العيون والألباب ويسكِّن النفوس بعد لَأْوَاء الأهوال التي مرَّت عليها.. إن صفاء الماء وعذوبته يجذب الناظر إليه جذبًا لا يُقاوم.. يغري النفوس الظمأى بأن تتروى من بارد زلاله.. أُلْقِيَ في فؤاد صاحب القلب المنيب مع أصحابه أن يشرب من العين الأولى، هداه الله ﷻ لذلك دون أن يؤمر بأمرٍ مباشرٍ.. صفاء الماء وعذوبته وشدة نقائه يدعو بنفسه إلى الشرب منه دون حاجةٍ إلى ترجمان، عندها انطلق الركب المظفر نحو العين الأولى.. واشهدِ المنظر الآن معي:

«فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذىً وقذىً وبأس»، وهكذا طهروا أجسادهم من داخلها من الأوضار المادية والمعنوية.. وانتعشت أرواحهم بمعين تلك العين.. فهاهنا تنعموا إذ شربوا.. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١]، «طهَّرهم من الأوضار التي في صدورهم»[1]، وسلَّ بها سخيمة قلوبهم، فعادت بيضاء نقيةً لا حسد فيها ولا تباغض.

تالله ما أشد شوق المحبين لذلك!.. قبل قليلٍ.. لربما كنتَ تعاني الخوف من النار وسمومها، والصراط وتغيظ جهنم تحته.. وعطشًا طويلًا.. فها أنت ذا تجد لذة الماء بين جوانحك وفي جسدك.. تذكر ذلك واهتف خاشعًا منيبًا:

اللهم فاجعلني في الأسبقين.. يا أرحم الراحمين.

(٣٤٠٠٤)، وابن الجعد في مسنده (٢٥٦٩)، وجوَّد ابن حجر إسناده في المطالب العالية ٤/ ٤٠٠، وهو مبثوثٌ هنا في عدة مقاطع.

(١) تفسير القرطبي ٧/ ٢٠٨.

ثم هُدُوا إلى أن يغتسلوا من العين الثانية.. وهكذا «عمدوا إلى الأخرى فتطهَّروا منها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغير أبشارهم أبدًا، ولن تشعث رؤوسهم أبدًا، كأنما دُهِنوا بالدِّهان».. لقد أسفرت وجوههم بالنور الساطع.. وأضاء محياهم بالسناء البهي اللامع.. أيُّ نعيمٍ عظيمٍ يحدث لك يا صاحب القلب المنيب وأنت لم تدخل الجنة بعد؟!

عند القنطرة تُنقَى روحك، تُطَهَرُ نَفْسُك.. فلا يعود الغل يداخلها.. وهنا تُطَهَرُ أعضاء جسدك الداخلية، ثم يُطَهَرُ جسدك من الخارج، فتجري عليك نضرة النعيم.. هاهم أولاء البررة الآن ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ [المطففين: ٢٤].

والآن قد تهيؤوا لِأَنْ يدخلوا الجنة، فأجسادهم وأرواحهم قد وصلت إلى المستوى الذي يمكنهم من التنعم بآلائها..

يا شجرة الجنة! طالما سَبَيتِ قلوب المحبين.. هاقد اجتمع الشمل بعد عناء الفراق.. هاقد أغدقت علينا مغتسلًا باردًا وشرابًا طهورًا.. يا دوحة الجنة الباسقة! قصةُ الحبِّ لستِ عنها بمنأى.. كيف يسلو عن الغرامِ الحبيبُ؟!

ورأوا منظرًا من الحُسْنِ أَبْهَى ◆◆◆ مَلأ العينَ والقلوبَ حُبُورا

دوحةٌ تحت ساقها فاض ماءٌ ◆◆◆ في نقاءٍ يَشِعُّ طُهرًا ونُورا

جذبَ الماءُ خَطْوَهم وسباهم ◆◆◆ فانثنوا يشربون عذبًا نَمِيرا

أذهــبَ المــاءُ كلَّ وَضَــرٍ وبأسٍ ... وأذىً كان في الحَشــا مَسْــتُورا

فاســتقاموا وللصُّــدور بهــاءٌ ... وسُــقُوا عندهــا شــرابًا طَهُورا

ثــم راحــوا إلــى النُّــزول بعينٍ ... غَمَسوا جســمَهم فعادوا بُدُورا

وجَــرَتْ نضــرةُ النَّعيــم عليهــم ... واســتناروا ســعادة وسُــرُورا

ومنــادي السَّــماء نــادى بلُطْفٍ ... «أَبْشِروا كان سعيُكم مَشْكُورا»[1]

(١) لشاعرنا المبدع عبد الرحمن العديني.

المشهد الثالث

عند أبواب دار السعادة
الاستقبال الحافل والمفاجآت الممتعة

تحية خزنة الجنة عند الدخول: لقد طبتم ظاهرًا وباطنًا.. فادخلوها آمنين:

يواصل الموكب المهيب تقدمه إلى هذا الباب من أبواب الجنة فـ«تلقتهم الملائكة على أبواب الجنة».

إنه التلقي هل تفهم منه شيئًا غير السلام والعناق؟!.. كقادمٍ من السفر البعيد المضني لا بد من العناق حتى يطيب التلاق.. وتطفأ حرارة الأشواق.. وتأمَّلْهم وقد تلقتهم الملائكة مهنئين، حتى «انتهوا إلى خزنة الجنة»، فأعاد عليهم خزنة الجنة التحية السابقة التي قدَّموها لهم عند قنطرة المظالم البينية.. أعادوها عليهم حبًّا وإجلالًا وإشادةً واحتفالًا، فقالوا:

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

وبمجرد أنهم وصلوا عتبة باب الجنة ترفع لهم خزنة الجنة شارات الاستقبال الفخمة المطمئنة، وتُسْمِعُهم ما هو أجمل من الأهازيج المطربة، فتقول لهم:

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾[الزمر: ٧٣]..

◆ أيها المتقون:

سلامٌ عليكم «أمنةٌ من الله ﷻ لكم أن ينالكم بعد مكروهٌ أو أذى»، فاطمئنوا لن تروا كربًا بعد الآن.. قَرُّوا عينًا بذلك، ذهبت أهوال القيامة، وعرصاتها.. سلامٌ عليكم الآن.. مستقرٌ لكم، ثابتٌ في حياتكم المستقبلة، فاطمئنوا فلن تؤاخذوا بشيءٍ من تفريطٍ أو تقصيرٍ أو عصيانٍ.. حدث منكم في سالف الزمان...

◆ يا أهل الجنة:

طبتم في الدنيا بطاعة الله ﷻ، وتأهلتم بطيبكم لتدخلوا جنة الله، فهي طيبةٌ لا يدخلها إلا الطيبون، وإنَّ ربَّها ﷻ طيب لا يقبل إلا طيبًا.

◆ يا أهل الجنة:

طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم، فطاب الآن جزاؤكم ومثواكم[1].

تكمل الملائكة تحيتها فتقول: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

تنعَّموا فيها، واطمئنوا، فإنكم ماكثون فيها أبدًا لا تبغون عنها حولًا، ولا ينبغي لكم أن تتحولوا عنها.

ونشيدُ المَلاكِ فيها سلامٌ ... طبتمو فادخلوا وطابت مآبا

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٥.

كأنك يا صاحب القلب المنيب تنادي:

«يا هناءَ الدُّخول أسعدتَّ روحي ••• راقَ عيشي بقُرب ربِّي وطابا»[١]

ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون:

ثم تتابعت مبشرات نداء الحق تصطفي العبد المنيب وأصحابه بأجمل بشارةٍ يسمعها مذ عرف الوجود ودان للمعبود: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف: ٧٠].

أيها القانت: ادخل الجنة.. ولأنها بشرى فقد رأيتَ على نفسك تَغَيُّرَ لونِ بشرتك بما داخَلَك من السرور والحبور[٢]، واضطرابَ جسدِك حتى يكاد يرقص طربًا وفرحًا.

وربما تساءلت بلهفةٍ وقد أفقت من فرحة البشرى تساؤل الوفاء: فزوجي.. أين هي؟ وماذا بشأنها؟ إنها قرينتي في الدنيا فما حالها؟!

فيسعفك الجواب، وتتلذذ وأنت ترى الله قد أجابك على الفور: ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾ [الزخرف: ٧٠]، لست وحدك بل مع زوجك المسلمة البتول الودود التي كانت لك نِعْمَ العون على دينك ودنياك، أنت وهي تكرمون في جنات النعيم.. هنا يسكن الفؤاد.. هنا تهنأ الروح.. هنا يصلح البال.. هنا يطيب الخاطر..

(١) لشاعرنا المبدع عبد الرحمن العديني.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١/ ٢٣٨.

وربما تساءلت عندها بلهفةٍ ووفاءٍ: فقريني من المؤمنين، وحبيبي من الصحب المخبتين، وصديقي من الملأ القانتين؟ أين هو؟ وكيف التلذذ بالعيش دونه؟

فسمعتَ ما أثلج صدر المحب: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٠]: تكرمون أنتم وأزواجكم من نسائكم وأصدقائكم من المؤمنين[١].. هنا يكمل الأنس.. ويذهب البؤس.. وتسعد النفس..

أنتم وأزواجكم وقرناؤكم في جنةٍ عرضها السموات والأرضين تحبرون.

تحبرون فتكرمون في المنزلة، والمنزلة هي الجاه، وتحبرون فتفرحون وتغتبطون.. والفرح في القلب، وتحبرون فتتنعمون.. والنعيم في البدن، وتحبرون فتسرون.. والسرور في العين، وتحبرون فتعجبون.. عندما ترون ما يُستطرف.. ممَّا لبديع صنعه لا يوصف.

وتحبرون فتتلذذون بسماع أصواتٍ كالهديل.. وعذب الكلام والغناء الجميل[٢].. إنه النعيم المتجدِّد يَرِدُ عليكم تباعًا.. يتوارد عليكم أنواعًا.. وبمرور الساعات يزداد تنوُّعًا واتساعًا.. فلا تخشوا عليه نضوبًا أو انقطاعًا..

ومنادي الحق ينادي عليكم معاشر المتنعمين، يزف إليكم بشرى الديمومة في ديار الخالدين: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) أزواجكم فيها تفسيران: نساؤكم، وقرناؤكم فجمعنا بين التفسيرين.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٦/ ١١١.

فماذا تريد بعد اجتماع النعيم من بين يديك ومن خلفك، فعجبًا للجنة كيف ينام طالبها؟! كيف يهيم بغيرها صاحبها؟!

لمثل هذا يهيم القلب ويشتاق.. وبه تتفتح للمؤمن في الطاعة الآفاق.

أول زمرةٍ وثاني زمرةٍ يدخلون الجنة منكم.. كيف هؤلاء الأمراء المحظوظون؟

تأمَّلْهم الآن.. عاينْهم بقلبك وفؤادك، وارقبهم بطَرْفك للتعرف عليهم، عسى أن تظفر بالدخول معهم.. فإن «أول زمرةٍ يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكبٍ دريٍّ في السماء إضاءةً.. لا يبولون، ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون، ولا يَمْتَخِطون»[١].. هذه أسراب مؤمنة نورانية.. تشرق ضياء.. وتسطع بهاء.. وتسحر الأنظار جمالًا.. وتأخذ بالقلوب مهابة وجلالًا..

هذا كان وصف أجسادهم، وروعة جمالهم، وغناهم عن اللجوء إلى أوضار الدنيا.. لقد أغراك هذا وجذبك، فاسمع إلى النبي ﷺ وهو يصف أدوات جمالهم يقول: «أمشاطهم الذهب، ورَشْحُهم المسك، ومجامرهم الْأَلُوَّةُ[٢]»، أَمَا شدَّك هذا وجذبك؟!.. فاسمع إليه وهو يصف أزواجهم يقول: «وأزواجهم الحور العين»، وقد بلغ هذا منك مبلغًا في الشوق، فاسمع إليه وهو يصف أخلاقهم فيقول: «أخلاقهم على خلق رجلٍ واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء»، وقد رأيتَ ثلةً

(١) البخاري (٣٠٧٣)، والزيادة عند مسلم (٢٨٣٤).

(٢) الألوة: العود الهندي الذي يتبخر به. إرشاد الساري، القسطلاني ٥/ ٢٨١.

من السابقين.. وأنت ترى المشهد مجدَّدًا لتقارن بينهم وبين الثلة التي تليهم..

وعلى الرغم من نعيم كلٍّ فإنك ستهتف معي حقًّا: اللهم برحمتك فاجعلني من السابقين، اللهم برحمتك فاجعلني من المقربين، اللهم برحمتك فاجعلني من الأولين.

أمام أبواب الجنة نداء رخيٌّ لك أيا صاحب القلب المنيب:

وهناك يتكرر لك -أيا صاحب القلب المنيب- النداء الرخي مجدَّدًا لكن بلذته الغامرة، وصوته العذب الجميل الذي لا يمكن فيه التشبيه ولا التمثيل:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

في عطفٍ وقربٍ: يا أيتها النفس المطمئنة..

في روحانيةٍ وتكريمٍ: يا أيتها النفس المطمئنة..

في ثناءٍ وتطمينٍ: يا أيتها النفس المطمئنة..

◆ **يا صاحب القلب المنيب! يا صاحب النفس المطمئنة!** المطمئنة إلى ربها.. المطمئنة إلى طريقها.. المطمئنة إلى قَدَر الله ﷻ.. المطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنع والعطاء.. المطمئنة فلا ترتاب.. والمطمئنة فلا تنحرف.. والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق.. والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرعيب..

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] ارجعي إلى مصدرك بعد غربة الأرض وفرقة الوطن

الأول، ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] بما بينك وبينه من صلةٍ ومعرفةٍ ونسبةٍ، ﴿رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٨]، بهذه النداوة التي تفيض على الجو كلِّه بالتعاطف والرضا.. الرضا «بما حصل لها من كرامته. وبما نالته منها عند الرجوع إليه. فحصل لها رضاها، والرضا عنها»[1]، ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩﴾ [الفجر: ٢٩] المقربين المختارين لينالوا هذه القربى ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٣٠] في كنفي ورحمتي.. هذه رعاية علوية خاصة مميزة للمفلحين من عباد الله الصالحين.. هذه إضافة تفيض حنوًّا وسعادة للمخلَصين من أفوج المؤمنين الموفقين..

◆ **أيتها النفس المطمئنة:** انظري.. ألا إنها الجنة بأنفاسها الرضية الندية[2].

مفاجأةٌ ممتعةٌ: استقبالٌ حافلٌ من الولدان المخلدين:

◆ **أيها المخبت المتقي:** وعند أبواب الجنة كان ينتظرك ولدانٌ صغار ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ﴾ من جمالهم، وحسنهم، وبهائهم، ونظافتهم، وحسن ملابسهم ﴿لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ۝١٩﴾ [الإنسان: ١٩].. أو كأنهم لرِقَّتِهم، وصفائهم، وحسن أجسادهم، ونضارة وجوههم ﴿لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ۝٢٤﴾ [الطور: ٢٤] مستورٌ من الشمس فيزداد حلاوةً وجمالًا..

وإذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم؟! لا تعجب يا عبد الله.. الجمال التام هنالك.. والحسن الرائق الفائق في استقبالك.. والوسامة الساحرة فوق ما يخطر ببالك..

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ١٧٦.

(٢) انظر: الظلال ص٣٩٠٧.

انظر في ذلك ثم قل معي: اللهم إني أسألك من عظيم أفضالك.. والفردوس الأعلى والحظ الأوفى من نوالك.

كان هؤلاء اللآلئ المتناثرة ينتظرونك، وما إن رأوك حتى انطلقوا إليك.. هاهم يتسابقون.. يتلقونك والمخبتين الأبرار.. نعم «تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته» لِلَهْفَتِهم بكم، وتشوقهم إليكم.. يطوفون بك يسلِّمون عليك.. يُقَبِّلونك.. يدورون حواليك.. يهتفون بعبارات التَّرحاب.. كما يفعل الولدان الصغار بأعز أصحابهم من الضيوف في كلِّ مرةٍ يعودون من أسفارهم.. أَجِّجْ شوقك أكثر، وتأمَّلْ في مشهد الفرحة العجيب الذي أنت نجمه.. أنت هنا محور الاهتمام.. وصاحب المقام.. الكل رهن إشارتك.. الجميع مسخَّر لإسعادك وخدمتك.. أنت هنا السيد الشريف.. ذو العز الرفيع المنيف..

وهم يطوفون بك، وتتكلم أفواههم بكلِّ عبارة خيرٍ، وتحية بِشْرٍ، يبادرونك بالتبشير فـ «يقولون: أبشر! بما أعد الله ﷻ من الكرامة لك.. [أَبْشِرْ! قد أعد الله ﷻ لك من الكرامة كذا وكذا.. قد أعد الله ﷻ لك من الكرامة كذا وكذا]».. إنه يوم سعدك يا حبيب! يعددون لك.. يفتحون شهيتك بأفواههم العذبة الصغيرة، وانظر إلى البشرى كيف تتوالى تترى.. لتغمرك حبورًا ومسرة وفخرًا؟!.. أي حبيباه! خذ ذلك هنيئًا مريئًا.

حركةٌ مفاجئةٌ: ولدٌ ذكيٌّ من الولدان يسبقك ليخبر أهلك:

وفي غمرة الفرحة ينطلق غلامٌ ذكيٌّ منهم.. ينسلُّ من بينهم إلى ملكك الكبير ليبشر أهل مملكتك، ويفوز ببشارة وصولك من أهلك الذين ينتظرونك ويخصُّ نساءك بالإخبار.. نعم! تأمل المشهد وادع لنفسك بكل خيرٍ: «ينطلق غلامٌ من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين» يدخل عليها وهو يتحاذق، والبِشْرُ يظهر على محياه.. فيقول -بلهجتنا: «يبدو والله أعلم أنه عندي خبرٌ سارٌّ لكم معاشرَ أهلِ البيت»، ويتحاذق ويُسَرِّبُ الخبر بأسلوبه الفرح، وابتسامته العذبة.. تصوَّرْ جوهرةً أمامك تبتسم! ثم تقول: «قد جاء فلانٌ. باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا»، لَكَأَنَّك تراه وهو يُهَمْهِمُ متحاذقًا كأنه يقول: احم..احم.. هل تعرفْنَ من جاء؟.. فتأخذ منهن البشرى كلَّ مأخذٍ قبل أن ينطق.. فهنَّ ينتظرن مذ خلقن شخصًا واحدًا.. ولا تكون البشرى إلا به.. فهل تتأمَّلْ عَيْنَي الغلام عندها وحركته متحاذقًا، وعَيْنَي أهلك وهن لا يدرين ماذا يقلن فرحًا واستبشارًا!.. وباسمك الذي كنت تسمى به في الدنيا يكشف عن مفاجأته لزوجك من الحور العين.. عندها -ومن شدة فرحها- تقول له -كأن قولها جاء دون وعيٍ لشدة الفرح-: «أنت رأيته؟!» أمعقولٌ؟! بعد كلِّ هذا الانتظار للراحة الأبدية.. جاء.. بمَ تتغنى زوجك من الحور العين عندها؟!.. بمَ تترنم؟!.. كمِ انتظرتك وأنت في الدنيا حتى أنها كانت تدافع عنك إذا آذتك زوجك من نساء الدنيا: «فتقول: لم تؤذينه؟ قاتلك الله! يوشك أن يفارقك ويأتي إلينا»، تدعو

على زوجك من نساء الدنيا حبًّا لك وغيرةً عليك أن تُغضَب أو تُؤذَى.. وهي الآن تسمع بشرى وصولك، ومن تلهفها عليك تسأل سؤال فرحٍ وتعليلٍ للنفس لا سؤال تأكُّدٍ واستيقانٍ، فإن ولدان أهل الجنة لا يكذبون، تسأله متلهفةً: «أنت رأيته؟! فيقول: أنا رأيته، هو ذا بأثري» والسؤال للتعليل فقط:

نحن أدرى وقد سألنا بِنَجدٍ ••• أقصيرٌ طريقنا أم طويلُ

وكثيرٌ من السؤال اشتياقٌ ••• وكثيرٌ من ردِّهِ تعليلُ[1]

إنه سؤال اشتياق القلب، سؤال فرحٍ للفؤاد.. لسماع جوابٍ يعلِّل النفس، ويُطْرِبُ الروح

وقد كان.. فقد اهتزت روحها، وخفق قلبها لدرجة أنه « يَسْتَخِفُّ إِحْدَاهُنَّ الْفَرَحُ، حتى تقوم على أُسْكُفَّة[2] بابها» تخرج فرحةً.. مرحةً.. طربةً.. ولعةً.. حتى تقف على أُسْكُفَّة الباب.. وهنا المفارقة المفرحة.. لا تستطيع الخروج أكثر لأنها وصاحباتها ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: ٧٢]، مقصورات ليس عندهن حبٌّ لِأنْ يطلعن أبعد من بيوتهن، فمن فرحها خرجت، ومن نقائها وقفت.. لم تتعد عتبة الباب بانتظارك!..

(١) الأبيات للمتنبي. ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي، ص: ٣٠٦.

(٢) أسكُفَّة الباب: العتبة التي يوطأ عليها. مقاييس اللغة ٣/ ٩٠.

مِنْ قاصراتِ الطَّرْفِ لا تَبْغِي سِوَى ••• مَحْبُوبِهـا مِـنْ سـائِرِ الشُّـبانِ

فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمنِ خَوْدًا ثُمَّ قَدِّ ••• مْ مَهْرَهَـا مَـا دُمْـتَ ذَا إمْـكَانِ

ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيْسَـرُ إنْ يَكُنْ ••• لَـكَ نِسْـبَةٌ لِلْعِلْـمِ وَالإيمَانِ[1]

انظر الآن إلى هيئتك وأنت تدخل الجنة:

وبعد الاستقبال الحافل من الخزنة.. ثم من الولدان المخلدين لموكبك الرحيب.. تبدأ وصحبُك الأخيارُ كلٌ في موكبه.. فتدخلون.. ولكن شاهد هيأتك.. منظرك.. مقدار حسنك المنعكس ربما على المرايا المبثوثة هنا أو هناك.. أو على صفحات وجوه أصحابك.. انظروا إلى بعضكم بعد أن جَرَتْ عليكم نضرة النعيم، فإنكم تدخلون «الجنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ»[2] جُرْدًا من شعر الجسد.. مُرْدًا من شعر الوجه.. بِيضًا في غير برص.. جِعادًا في شعور رأسكم فتكون بين الاسترسال الشديد والجعودة الشديدة.. مُكَحَّلين.. تظهر من عيونكم نور السواد الشديد الذي يكسبها لونًا طالما تمناه المتمنون.. رونق من الجمال والأبهة والوسامة لا تتصوره عين.. ولا يخطر ببال!..

---

(١) نونية ابن القيم، ص: ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) أحمد (٧٩٣٣)، الترمذي (٢٥٤٥)، وقال: حسن غريب، والضياء في المختارة (٢٧١٧)، وقال محققو المسند: «حديث حسن بطرقه وشواهده دونَ قوله: «في عرض سبع أذرع»، فقد تفرد بها علي بن زيد وهو ابن جُدْعان، وهو ضعيف».

وإذا نظر كلٌّ منكم لصاحبه، أو نظر لنفسه هل يعجب من الحُسْن الذي لا يمكن أن يوصف؟! أم من شدة الصفاء الذي يُذهل العقل؟! أم من التناسب بين الطول والعرض؟!

اللهم بلغنا تلك المنازل على خير طاعةٍ تحب، واجعل ختامنا خير ختامٍ يا أرحم الراحمين.

نداء الله الجليل المتعال لك وللركب المفلحين وأنتم تدخلون الجنة:

وهناك بُعَيد الدخول أو قُبَيله يحييكم الكبير المتعال جلَّ عن الشبيه والمثال بنداء علوي كريم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾ [الحجر: ٤٦]..

◆ **يا أيها المفلحون..** وقد ساروا نحو مراتع الرضوان: ادخلوا جنتي بسلامةٍ من كلِّ داءٍ وآفةٍ، مَسَلَّمٌ عليكم مني ومن ملائكتي بخير تحيةٍ.. لا سأم ولا مخافة.. ادخلوها آمنين من الموت والعذاب والعزل والزوال.. آمنين من كل خوف وفزعٍ..

◆ **ويُكَرَّرُ النداء:** كتكرير أهازيج الأفراح، وزغاريد الأعراس، وتباشير الجنود، يكرر وأنتم تساقون إلى الرحمن وإلى جنته وفدًا ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾ [ق: ٣٤].

تابِعْ مسير الموكب.. إنه موكب الزفاف الحق.. موكب زفافك حيث كعبة الحسن ومهجة الروح:

يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الحُسْنِ الَّتي ◆◆◆ حُفَّتْ بِذَاكَ الحِجْرِ والأَرْكَانِ

فَيَظَلُّ بالجَمَرَاتِ يَرمِي قَلْبَهُ ◆◆◆ هَذِي مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ[1]

(١) نونية ابن القيم، ص: ٢٧٨.

لا تحتاج إلى من يدلك على مملكتك فأنت تعرف طريقك إليها:

هانحن نتابع موكب زمرةٍ من زمر أهل الجنة وقد اجتازت عتبات الباب، تنفصل مواكب أهل الجنة الداخلين في هذه الزمرة بعضها عن بعض، إذ يتقدم كلُّ واحدٍ مع موكبه الخاص من الملائكة الأبرار.. والخدم من ولدان كالأقمار.. نحو مملكته من قصور وبساتين وأنهار.. في منظر يبهر الأنظار.. وعندما يتقدمون داخلين ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[يونس:٩]؛ إذ يُلْهِمُ الله ﷻ كلَّ واحدٍ منهم مكان مملكته في الجنة بالتحديد.. نعم! يهديهم الله إلى مساكنهم بإيمانهم.. فالله -عزَّ جاره- كما يقول أبو عبيدة ﷺ: بَيَّنَها لهم حتى عرفوها من غير استدلالٍ[1]، فانظر إليهم ينطلق كل واحدٍ في هذه الجنان الرحيبة نحو مملكته في موكبه المهيب.

أيها المخبت المنيب:

انظر انطلاق كلِّ واحدٍ منهم، واحلف عند ذلك بما حلف به النبي ﷺ:

> «فوالذي نفس محمَّد ﷺ بيده لأَحَدُهُمُ بِمَسْكَنِهِ في الجنة أدلُّ منه بِمَنزِلِهِ كان في الدنيا»[2]

أجل! أوليس ربي يقول عن المؤمنين: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٥، ٦].

---

(١) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ٢٠/ ٢٤٤.

(٢) البخاري (٢٤٤٠).

عَـرَّفَ لهـم مواضعهـا وأماكنهـا حتـى قـال مجاهـد: يهتـدي أهلهـا إلـى بيوتهـم ومسـاكنهم لا يخطئـون كأنهـم سـاكنوها منـذ خلقـوا لا يسـتدلون عليهـا أحـدًا..

ووقفـتَ أخيـرًا علـى بـاب مملكتـك الرحيبـة.. فرأيـتَ بابهـا البهـي العظيـم ينفتـح.. وكانـت المفاجـأة:

أبواب الجنة التي تغلق وتفتح تلقائيًا:

والآن وقـد أصبحـت في دار المقامـة، في جنـات عـدنٍ.. وأردت أن تدلـف إلـى قصورك سـتراهـا ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ [ص: ٥٠] تصـوَّرْ هـذا إنمـا قـال: مفتحـةً.. ولـم يقـل مفتوحـة لأنهـا تفتـح لهـم بالأمـر أو بمجـرد التقـدم لا بالمـس.. حتـى قـال الحسـن رحمه الله:

«تُكَلَّم: انفتحي فتنفتح، انغلقي فتنغلق، فأبوابها تفتح لهم بغير فتح سُكَّانها إيَّاها بمعاناةٍ بيدٍ ولا جارحةٍ، ولكن بمجرد الأمر أو نحوه»[1]

هكـذا كانـت مسـألة الفتـح الآلـي للأبـواب معلنًـا عنهـا في القـرآن الكريـم قبـل أن تصـل إليهـا البشـرية، ولكـن مـع الفـارق العظيـم، إذ مـا نـراه مـن الفتـح الآلـي اليـوم مجـرد إشـارةٍ ولا يمثِّـل كامـل الحقيقـة إلـى مـا سـيكون عليـه الحـال في ذلـك اليـوم القـادم.

ورأيـتَ مـن النعيـم الـذي تتلـذذون بـه أنكـم إذا دخلتـم الجنـة فإنهـا لا تغلـق أبوابهـا عليكـم بـل تبقـى مفتحـةً إشـارةً إلـى تصرفكـم وذهابكـم وإيابكـم، ودخـول الملائكـة عليكـم مـن كلِّ بـابٍ بالتُّحَـف والألطـاف والتحايـا مـن ربهـم ﷻ.. وهـي دار الأمـن

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٣.

والسلام فلا تحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كنتم في الدنيا إلا إن الفتح والإغلاق للتلذذ والتنعم.

◆ **أيا خاطب الجنة:** هاهنا راحة الأجساد تجنيها بلذة العبادة.. هاهنا تجد سعادة السيادة.. هتف بك الحكماء: لا تكفَّ دمعك حتى ترى في المعاد ربعك.. ناداك العقلاء: لا تُكَحِّلْ عينك بنوم.. حتى ترى حالك بعد اليوم.. قرَّرَ لك الخبراء: لا تَبِتْ وأنت مسرور.. حتى تعلم عاقبة الأمور.

المشهد الرابع

أخيرًا.. اتكاء الراحة الأبدية

أول نظرةٍ على قصرٍ من قصور مملكتك الرحيبة:

أخيرًا وصلتَ إلى مملكتك.. دخلتها فبادرتَ إلى الاطمئنان على أساسات قصور هذه المملكة، وكيف بُنِيَتْ، أول نظرةٍ منك كانت إلى القصور.. الله! كما كان يفعل أهل الدنيا في الدنيا، يطمئنون أول ما يطمئنون على أساس البناء، ويصف النبي ﷺ هذه اللحظات المثيرة فيقول: «فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه فإذا جَنْدَل اللؤلؤ.. فوقه صرحٌ أخضر، وأصفر، وأحمر، ومن كلِّ لونٍ»[1]، الأساس مكوَّن من الحجارة الصَّلدة القوية (الجَنادل)، ولكنها حجارةٌ لا ككلِّ الحجارة، فهي حجارةٌ من جَنْدَل اللؤلؤ مع زخرفةٍ بديعةٍ متناسقةٍ منتظمةٍ من الألوان الخضراء، والصفراء، والحمراء ومن كلِّ الألوان.. أقرب ما كان يقرب إليك هذا الجمال البديع الذي لا يوصف منظر طيف الألوان وقد كسا السماء في تداخل معجب أخَّاذ بين السحب بعد يومٍ ماطر.. مجرد تقريب، وإلا فالجمال الذي اجتمع مع القوة في أساس البناء لا يوصف في الدنيا حتى تراه بعينك في الآخرة.

(١) مصنف ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب ﷺ موقوفًا (٣٤٠٠٤)، والضياء في المختارة (٥٤٢)، وقال محققه (د/ عبد الملك ابن دهيش): إسناده صحيح.

وهكذا اطمأنَّ على أساس بناءٍ من بناءاته.

وبعد الاطمئنان على الأساس يرتفع نظره ليطمئن إلى السقف، فهو واجهة القصر ومنبع زينته ومكمن جماله، «ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق» يتميز بلمعان شديد.. من جمال السقف وبريق ضوئه ، وشدة صفائه كأنه البرق، وبلغ من لمعانه وشدة بريقه وإشراق نوره وجماله أن الله ﷻ يحفظ عينَ الإنسان منه، «فلولا أن الله ﷻ قدره له لأَلَمَّ (أي: لأوشك) أن يُذْهِبَ ببصره».. أترى ذاكم النور والإشراق والبريق يشع من ذات السقف أم هي قناديل أو ما يشبه الثُّرَيَّات والسُّرُج المعلَّقة فيه تبهر الأنظار بشعاع ضيائها؟ وتأسر العيون بنور سنائها؟ وهو ما تحاول أن تصل إليه الأبراج في الدنيا.

في قُصورِ الخُلدِ طابتْ نَظْرةٌ ... في أساسٍ للبناءِ الأرفعِ

جَنْدَلُ اللُّؤْلُؤِ شِيدَتْ فَوْقَهُ ... أصرحٌ من كلِّ لونٍ أَرْوعِ

رُفِعَ الطَّرفُ إلى سَقْفٍ علا ... فإذا السَّقْفُ كَبَرْقٍ أَلْمَعِ[1]

نظرةٌ إلى بعض قصورك، وترتيب الغرف بداخلها:

وفي قصرٍ من قصورك البديعة رأيتَ عدَّة خيام.. قفْ لا تظنها خيمةً كخيام الدنيا، فإنها تختلف عنها شكلًا ومضمونًا، فإن «الخيمة دُرَّةٌ مُجَوَّفةٌ، طولها في السماء

(١) لحادينا على طريق الجنة: العديني.

ستون ميلًا» وتطوف عليها لتجد «في كلِّ زاويةٍ منها.. أهلٌ لا يراهم الآخرون»[1].

فهي خيمةٌ "عظيمةٌ مُجَوَّفةٌ، واسعة الجوف، عرضها وطولها كل واحدٍ منهما ستون ميلًا، في كل زاويةٍ من الزوايا الأربع من تلك الخيمة أهلٌ يطوف عليهم"[2].

والغُرَف مبنية بناء حقيقيًّا على أجمل نسق، فإن ربي عزَّ جاره يقول: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]، فأخبر أنها غرفٌ فوق غرفٍ، وأنها مبنيةٌ بناءً حقيقيًّا لئلا تتوهَّم النفوس أن ذلك تمثيلًا، وأنه ليس هناك بناءٌ، بل تتصوَّر النفوس غرفًا مبنيةً كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنها يُنْظر إليها عِيانًا، وتظهر الغرف كأنها مستقلة وليست بناء لأدوار يرى مجموعها ولا ترى أفرادها، وكأن لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها، وفي هذا إشعارٌ بسعةٍ عظيمةٍ من المساحة التي للقصور.. سعة توحي بالأُبَّهَة والفخامة فوق ما يخطر ببال.. أو يتصوره خيال.. أو تقربه الأمثال..

◆ **أيها المشتاق الولهان:** إنها غرف الجنان: «يُرَى ظُهُورُها من بطونها»، ويرى «بُطُونُها من ظُهُورِها»، وارقب نموذجًا مصغرًا لها في البيوت الزجاجية التي يتنافس عليها أهل الدنيا، ذاك في الدنيا فكيف بما هيأ الله ﷻ لعباده المصطفين في العقبى؟!

التفتَ صاحب القلب المنيب لينظر في الجنة وأرضها مما هي، والبناء وحجارته

(١) انظر: البخاري (٣٠٧١).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ٧/ ١٩٨.

كيف تكون، فراعه الأمر إعجابًا؛ إذ الجنة وقصورها: «لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ»[١] وإنما كان ترابها من زعفران باعتبار اللون، وهو من مسكٍ باعتبار الرائحة، وأرضها تشبه الدَّرْمَك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها، وهذا من أحسن شيءٍ في التناسق، فالبهجة والإشراق لون الزعفران، والرائحة رائحة المسك[٢].

أَرضٌ لَهَا ذهبٌ والمِسْكُ طِينَتُها ... والزَّعْفَرانُ حَشِيشٌ نابتٌ فِيهَا

دَلالُها أحمدٌ والرَّبُّ بَائِعُهَا ... وَجِبْرِئيلُ يُنَادي فِي نَوَاحِيهَا

مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الفردوسِ يَعْمُرُهَا ... بِرَكْعَةٍ فِي ظلامِ اللَّيْلِ يُحْيِيهَا[٣]

ولنتابعه إلى الداخل، فما إن متَّع نظره بالخارج حتى دلف إلى الداخل، ليشهد مَنْ في الدار وما في الدار، فلما دخل ألفى الجمال الساحر والحسن الآسر.. إنهن أزواجه ومهوى فؤاده، مَنْ خلقهن مولاه لإمتاعه وإسعاده.. إنها النظرة الأولى لحوره الحسان.. إن اللقاء الأول بالحسن الفَتَّان.. والجمال الرَّيَّان.. الذي لا تتصوره العقول والأذهان..يا قرة العين! ويا لذة النفس! ولشوق القلب إليهنَّ، وأُنْس الأرواح

(١) الترمذي (٢٥٢٦)، ابن حبان (٧٣٨٧)، وصححه الأرناؤوط بطرقه وشواهده، وحسنه لغيره الألبانيُّ في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١١)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند (١٣٥٨)، والمِلاط: الطِّين الذي يُجعَلُ بين سافَيِ البِناء يُمْلطُ به الحائطُ أي: يُخْلَط، (وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت): حصاها الصغير اللؤلؤ والياقوت.

(٢) انظر: حادي الأرواح، ص: ٩٤.

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين، ابن الجوزي، ص: ١٨٠.

بِدَلِّهنَّ وجمالهنَّ، وهيجان القلوب بالسكنى معهنَّ، كلُّ ذلك وما يتلوه سيأتي دوره في الوصف، فلنتركه الآن.. فذاك حديث لا يُمَرُّ عليه مرًّا.

لقد بَسْمَلَتْ ليلى غَداةَ لَقِيتُها ◆◆◆ فَيَا حَبَّذا ذَاكَ الْحَبِيبُ الْمُبَسْمِلُ[1]

ثم نظر إلى أثاث الدار فرأى الجمال والدلال والأثاث البديع المثال: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ١٤ - ١٦].

◆ **اشهد المنظر البديع:** نمارق هي وسائد مصفوفة في أمكنتها اللائقة، وعلى الأرض توجد الزرابي وهي البُسُط المبثوثة المنتشرة في أرجاء البيت بجمالها ونعومتها وقوَّتها ورِقَّةِ ملمسها.

وفي أمكنتها اللائقة توجد الأكواب الموضوعة.

راقك ذلك، وشدَّك.. وجذبك أيما جذبٍ.. هناك انهالت عليك الذكريات.. انهالت الذكريات..

◆ **يا صاحب القلب المنيب: للجنة تسكب العبرات.. وعند الاطمئنان بدخولها تنهال الذكريات.. ذكريات المسارعة إلى الخيرات:**

وأنت أمام الجنة المفتحة الأبواب.. أو وأنت داخلها قد تخطيت الحجاب.. لربما انثالت هناك الذكريات، وانسكبت العبرات، لكنها عبرات الفرح، وتذكرت

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص: ٣٠٦.

النداء العلوي: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وسارعوا.. بادروا وسابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم تستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وتغطِّي عليكم سيئاتكم من عفوه، وتؤهِّلُكم إلى جنةٍ عرضها السموات والأرضين، بجوار رب العالمين، والملأ الأعلى والذين أنعم الله عليهم من النبيين عليهم السلام.. لعلك هناك يا صاحب القلب المنيب: تذكرت ذلك النداء.. والآن:

- **هاهي الجنة** تفتح لك أبوابها، وتحتضنك بحنانها وجمالها، وتغمسك في نعيمها..
- **هاهي الجنة** التي كنتَ تبادر لها في الدنيا مسارِعًا.. إلى مغفرةٍ تؤدي إليها مبادرًا وراتعًا..
- **هاهي الجنة كم سارعتَ وسابقتَ** من أجل تأدية صلاةٍ في جماعةٍ ابتغاء المغفرة والجنة، وركعت مستكثرًا من النافلة والسُّنَّة.. تسألهما ربَّ المِنَّة.. فالآن قد أُعطيتَ المغفرة ورتعت في الجنة.
- **هاهي الجنة كم سارعتَ وسابقتَ** إلى تكبيرة الإحرام، والخشوع في القيام، ومكابدة الهواجر بالصيام.. ابتغاء المغفرة وجنة المقام.
- **هاهي الجنة كم سارعتَ وسابقتَ** لأجل إكمال وردك القرآني.. الذي لا يتخلف يومًا واتَّجهت إليه بقلبٍ ربانِيٍّ.. وأمام ناظريك المغفرة والجنة وجزاءٌ من خيراتٍ وعطايا دواني.

◆ **هاهي الجنة كم سارعتَ وسابقتَ** لأجل حماية الثغور، والعفو عن زللٍ صدر من الناس في حقِّك أو عما تراه من بعضهم من تقصير، وإعطاء الكثير في سبيل مغفرة العفو الغفور وجنة الودود الشكور.

◆ **هاهي الجنة كم سارعتَ وسابقتَ** خلف قُبْلةِ حُبٍّ في جباه الآباء، أو خلف مبادرةٍ تفرحهما.. تجعلهما بها من السعداء.. أو خفضت لهما جناح الذل من الرحمة فقبَّلت رُكَبَهما الشَّماء، ونلت بذلك تاج الدعاء: «رضي الله عنك يا ولدي، وجعلك من الأصفياء»، كلُّ ذلك ابتغاء مغفرة ربِّ السماء، وجنة الخلد ذات البهاء.

◆ **هاهي الجنة كم سارعتَ وسابقتَ** إلى الصفح عن الآخرين، واحتمال الأذى من المؤمنين، والصلح بين المتباغضين، وكظم غيظ عن المخطئين.. ابتغاء مغفرة القوي المتين، وجنةٍ عرضها السموات والأرضين.

◆ **هاهي الجنة كم سارعتَ وسابقتَ** إلى العفو عمن ظلمك، وسارعتَ إلى إعطاء من حرمك، وسارعتَ إلى صلة من قطع؛ ابتغاء مغفرةٍ تضع عنك وزرك، وجنةٍ ترفع لك ذكرك.

◆ **كم سارعت**، فنصرت مظلومًا، وأسعدت مكروبًا، وأغثت محتاجًا وملهوفًا، وأقمت حقًّا ومعروفًا، ودافعت منكرًا وباطلًا، وجاهدت عدوًّا وصائلًا، ترجو من ربك العظيم مقام السعادة، ومنازل السيادة والريادة.

◆ **أيها المخبت المنيب:** كم سارعت بدأبٍ بِلالِيٍّ بركعتين تركعهما بعد كلِّ وضوءٍ تتابع فيه بلال بن رباح ﷺ الذي سمع النبي ﷺ خشخشة نعليه في الجنة[1].. فسأله عن سبب هذا التقدم الذي أحرزه في الجنة فقال بلال ﷺ:

«يا رسول الله، ما أَذَّنْتُ قط إلا وصليت ركعتين، وما أصابني حَدَثٌ قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عليَّ ركعتين»[2]

فصارت ركعتا بلال وطهوره ديدنك؛ حبًّا لله ورغبةً في إحراز التقدم في جنته.

◆ **لقد سارعتَ.. وسارعتَ.. وسارعتَ حتى وصلتَ،** فهاهي ذي الجنة وها أنت ذا، ومنادي الحق ينادي عليك وعلى الأبرار المتقين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [يونس: ٢٦]، للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، ولا حسنى أعظم من الجنة وهي الآن لهم ينغمسون فيها.. فيا حبذا ذاك المقام!

أخيرًا: متكأ الراحة الأبدية في جنة المأوى:

وبعد أن اطمأن على بساتينه ومملكته، وأثاث بيته، ولمس عِيانًا حُورَه ودُورَه وقُصُورَه، ورأى أن قد خلص من عذاب الله ومقته إلى رحمته وفضله، وقد كتبت له

---

(١) مسلم (٢٤٥٧).

(٢) الترمذي (٣٦٨٩)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ"، وقال شعيب الأرناؤوط في الترمذي طبعة الرسالة (٤٠٢١): "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد، علي بن الحسين بن واقد ضعيف يعتبر به، وقد تابعه زيد بن الحباب وعلي بن الحسن بن شقيق المروزي عند أحمد وغيره".

الجنة حقًّا لا أمنيةً ووهمًا، قلَّب نظره في تلك النعم، وأعاد النظر إلى تلك المِنَن، «ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين» مراتٍ ومراتٍ لما يرى من حسنٍ فائق، ودُرٍر مصونةٍ، «فنظر إلى تلك النعمة».. «عندها يتكئ على أريكةٍ من أرائكه»، يتكئ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠] يتكئ.. يا لذة تلك الاتكاءة!.. يتكئ وهو يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].. آن للساعي طويلًا أن يرتاح.. آن للمجهد أن يسند ظهره بعد طول كفاح.. آن للمكدود أن يتنسم أريج الأفراح.. وأن يتعاطى الراح بالأقداح مع الحور الملاح.. آن لمن تاجر مع مولاه أن يحصل الأرباح.

ولما استقرَّ به المتكأ وأخذ النَّفَس العميق والتَّنَهُّد الطويل بالوصول إلى ما وصل إليه من نعمةٍ... شعر بأن سروره قد تمَّ بعد طول عناءٍ وضنًى؛ صبرًا على دين الله وثباتًا على الحق المستقيم، وعملًا للصالحات في دار الابتلاء والتقويم، ومنادي الحق ينادي:

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [السجدة: ١٩].

أخيرًا كانت جلسة الراحة.. أخيرًا.. أخيرًا يا جلسة السعادة!.. أخيرًا جلسة الفرح الدائم والبِشْر.. والتفتَ يستذكر دنياه، وكيف نجاه الله وعافاه!

ثم أعلن ترتيله العذب الخالد:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣][1].

(١) هذا الحديث الطويل حول دخول الجنة رواه ابن الجعد في مسنده (٢٥٦٩)، وعنه ابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" عن

فيا لسعدكم وفوزكم أيها المتقون!

ألم يعدكم ربكم بذلك في الدنيا فقال لكم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٥]؟ فهاهو ذا سبحانه قد أدخلهم في رحمته، وزادهم من فضله وهداهم إليه صراطًا مستقيمًا.. نعم! ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٧٠].. اقرأ ذلك، ثم اهتف أي أنيس الفؤاد: اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك.

وعندما تزداد تأملًا في رحمة الرؤوف الرحيم تزداد حبًّا له: خلقك ثم رزقك، ثم هداك ثم وفقك للعمل الصالح، ثم كافأك بالجنة.. كم يزداد حب الله ﷻ في نفسك وأنت تفكر في ذلك.. ارفع رأسك وكرر: اللهم اجعل حُبَّك أحبَّ إليَّ من الماء البارد على الظمأ.

كَرِّرْ عليَّ الذِّكْرَ مِنْ أسمائِهِ ◆◆◆ واجْلُ القلوبَ بنورِهِ وضيائِهِ

اسْمٌ بِهِ الكَوْنُ اسْتَنَارَ ضِيَاؤُهُ ◆◆◆ في أَرْضِهِ وفَضَائِهِ وسَمَائِهِ

لا يَحْصُرُ الوُصَّافُ بَعْضَ صفَاتِه ◆◆◆ كَلَّا ولا يَدْرُوْنَ كُنْهَ سَنائِهِ[1]

عليٍّ ﷺ موقوفًا، قال ابن حجر في "المطالب العالية" ١٨/ ٦٤٩: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ، إذ لا مجال للرَّأي في مثل هذه الأمور».

(١) مجموعة القصائد الزهديات ١/ ٥٣٣، وهذه الأبيات في حدائق الأولياء، لابن الملقن ٢/ ٤٦٧، وفيه تصحيفات كثيرة.

ضيافة الرحمن الفورية:

فور أن يدخل الجنة جمع الفائزين يكرمهم الرحمن بألذِّ أكلٍ يُشتهى في الدنيا هو «زيادة كبد النون»، وهو الحوت.. ثم يكون «غذاؤهم على أثرها.. أن ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»، وأما «شرابهم عليه فمن عين فيها تسمى سلسبيلًا»[1].. هذه ليست سوى الضيافة العاجلة.. والكرامة الواصلة.. مهلًا مهلًا فستتلوها هِبَات متواليات.. غاديات رائحات..

وعندها «ينادي منادٍ: تحيون فلا تموتون أبدًا، وتقيمون فلا تظعنون أبدًا، وتصحون فلا تمرضون أبدًا».. حياة رضية رخية أبد الآباد.. سعادة لا يحدها حادٌّ أمدَ الآماد..

لكم منازلكم وترثون منازل الكفار.. وتنادونهم تبكيتًا: هل وجدتم ما أخبرناكم؟!

فإذا دخلتم الجنة رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله.. يا خيبة المتحسرين!.. ثم يقال لكم معاشر أهل الجنة: فلترثوهم بما كنتم تعملون، فتقسم بين أهل الجنة منازلهم، ويتردد صدى النداء في الأرجاء طمأنةً وزيادةً في التنعيم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢] هذه الجنة التي ورثتم منازلها بعملكم الذي استحققتم به فضل الله ورحمته..

---

(١) مسلم (٣١٥).

◆ **أيها الفائز المتقي:** هَنِّئ نفسك فقد دخلتَ في رحمة الله وفضله.. وتنعَّم فقد نلتَ الشرف الأسمى والمجد الأعلى..

لكم -أهلَ الجنة الفائزين- ميراثٌ آخر.. فإنه «لا يموت رجلٌ مسلمٌ إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديًّا أو نصرانيًّا»(١)، سبحانه ربي وتعالى: نَعَّمَ بفضله من شاء، وعذَّب بعدله من شاء.

وعندها رأيت أصحاب الجنة ينادي كلُّ واحدٍ منهم من كان يعرف من أصحاب النار ممن سخروا منهم، واستهزؤوا بهم، أو حاربوهم ونكلوا بهم محادةً لله ولرسوله، ورأيتَ نفسك وأنت تنادي بعضًا من الطغاة المعادين لحقائق الإسلام، تناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم:

يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، ها أنت ذا بندائك تملأ قلوبهم توبيخًا وتصغيرًا ونقمةً وحسرةً وندمًا، ثم تسألهم سؤال توبيخٍ وتقريعٍ وتعييرٍ: «أَيَسُرُّكُم أنَّكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]»(٢).

عند ذاك أعلن المخبت المنيب: أعلن ترتيله الصادق بصوته الندي، وقلبه الشجي: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) مسلم (٢٧٦٧).

(٢) البخاري (٣٩٧٦).

الملائكة يدخلون من كل بابٍ دخول الخدمة والمحبة:

ولما استقر به المقام، وطاب له المثوى، وعالج ما جرى له من لذَّةٍ ونشوة، رأى الملائكة تدخل عليه من كلِّ باب بالتحية الخالدة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤].

ولما رأى ما أعد الله ﷻ له في الجنة وما أعطاه قال مبتهجًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠﴾ [الصافات: ٦٠]، وقد يسمع من حواليه من خدمه، أو من ضيوفه، وهم يرون ما أصبحوا فيه من نعيم، يسمعهم يهتفون فرحين مستبشرين: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤].

عندها كم يجدون من اللَّذَّة حين يذكرون الله ﷻ الذي مَنَّ عليهم؟! بل كم يستلذون أن يقولوا:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ [الزمر: ٧٤]؟!

خدمك من الولدان.. من أعظم النعيم في الجنان:

ولا تدري بأيِّ نعيمٍ تلتذ، وأيِّ صورٍ من صوره يصرف نظرك: أهي الكؤوس، أم ما فيها من شرابٍ يُمْتِعُ النفوس؟ أم من يقدِّمها من الخدم، فإن الذي يطوف عليكم بها هم أولاء ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾ [الإنسان: ١٩]؟ ولدانٌ مخلدون باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحُسْنِ، لا يهرمون، ولا يتغيرون،

ويكونون على سنٍّ واحدةٍ على مرِّ الأزمنة، على حالةٍ واحدةٍ مخلَّدون عليها لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السِّنِّ، وتتأمل في لباسهم فتراهم مُسَوَّرِين مُقَرَّطين، ثم ترفع طرفك إلى وجوههم، فتحسبهم لأول وَهْلَة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩] من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم، وتتبعهم بصرك، فتراهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم تحسبهم لؤلؤًا منثورًا.. تظنهم لؤلؤًا مفرَّقًا في ساحات المجالس، كما وصفهم الله ﷻ: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩]، ولا يكون التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن[1].

مثلُ الجَواهِرِ في حُسْنٍ وفي ألَقٍ ◆◆◆ كالدُّر مُنْتَثِرًا يَزْكو مِنَ العَبَقِ

يَسْعَون في لَهْفٍ دومًا بِخدمتِهم ◆◆◆ بما اشتهى القَلْبُ مِنْ كأسٍ ومِنْ طَبَقِ

السِّنُّ واحدةٌ لا فرقَ بَيْنَهُمُ ◆◆◆ يا روعةَ الحُسْنِ والأرواحِ والحَدَقِ

مُخلَّدون وأوصافُ الجمالِ بهم ◆◆◆ كأنَّهم لؤلؤٌ في صفحةِ العُنُقِ

في جلسةٍ خلويةٍ مع النفس: تفكر ماذا ستطلب في الجنة؟

سل تعط.. أمنياتك مجابة:

وفي جلسةٍ على الأرائك بين النَّمارق المصفوفة والأكواب الموضوعة، وأحيانًا

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧.

وأنت تتنزه في بساتينك بين الرياض النضرة، وأحيانًا وأنت مع أصحابك، تُفَكِّرُ بنعيمٍ جديدٍ تشتهيه وتطلبه ومع توالي المشتهيات، وتوفُّر سائر الملذات، فَكَّرَتَ: فماذا يوجد في الجنة غير ذلك؟

يأتيك الجواب يطرحه خاطرُك، أو يذكره لك خَدَمُك: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [ق: ٣٥]، فمهما اخترتم وجدتم، من أيِّ أصناف الملاذ طلبتم نلتم، وأُحْضِرَ لكم.. الأماني هنا حقائق.. والأحلام صوادق.. والألسن بما تشتهيه نواطق.. حتى إن "من المزيد أن تمرَّ السَّحابةُ بأهلِ الجنَّةِ فتقول: ماذا تريدون فأمطره لكم؟ فلا يدعون بشيءٍ إلا أَمْطَرَتهم"، تمتع بعض رواة هذا الحديث بذلك واستلذ حتى قال: "لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرينا جواري مُزَيَّنَاتٍ.."[(١)].

◆ **أيا حبيباه:** وأنت ماذا تشتهي؟ أعدَّ لذلك.. وعَدِّدْ مذ الآن.. وسأخبرك فلا تمسح معي دمعة فرحٍ تسيل..

أتتمنى لحم طير؟ إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخرُّ بين يديك مشويًّا إذا اشتهيته كذلك[(٢)].

ماذا تتمنى؟ تتمنى الولد بدون آلام الحمل، وتعب الولادة، والإرضاع؟ فاسمع

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (٢٤٠)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٩٥).

(٢) المعتمد في هذا عموم قوله تعالى ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ...﴾ [الزخرف: ٧١] ونحوها من الآيات.. ليس الحديث الخاص بذلك الذي فيه ذلك بخصوصه والذي رواه البزار٥/ ٤٠١، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد١٠/ ٤١٤ أن فيه ضعيفًا، ولذا لم نضعه بين قوسي حديث.

«إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة، كان حملُه ووضعُه وسِنُّه في ساعةٍ واحدةٍ كما يشتهي»[١].

وفي هذه الأثناء ربما رأيت آخر من أهل الجنة «استأذن ربَّه في الزَّرع، فقال له: ألستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى، ولكن أحبُّ أنْ أَزْرَعَ»، كان هذا من الشهوات المشتهيات التي أحب أن يتمتع بها، فكان له ما أراد، «فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ» بادر الطرفَ.. سبق العينَ ظهورُ نبات البذر، واستواؤه واستحصاده.. «فَيَقُولُ اللهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»[٢].

كلُّ ما تشتهيه يتحقق لك.. ولم لا؟ إنه وعد الله ﷻ خالق البشر لا وعد البشر.. فاستمع لنداء الحق: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت:٣١-٣٢]..

إنه النعيم.. وها أنت ذا أيها البار بنفسك ودينك وأهلك.. ها أنت ذا من الأبرار.. أما سمعت وصف الرحيم الغفار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣].

فما أشرف من أكرمه المولى العظيم! وما أسعد من خصه بالتشريف والتعظيم! وما أقرب من أهله للفوز والتقديم! وما أجل من أثنى عليه العزيز الرحيم! ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣].

---

(١) أحمد (١١٠٦٣)، الترمذي (٢٥٦٣)، وقال: حسن غريب، وقال الضياء المقدسي في صفة الجنة (١٣): "هذا الحديث عندي على شرط مسلم".

(٢) البخاري (٢٢٢١).

نُعِّموا في الدنيا بالإخلاص في الطاعة، وفازوا يوم القيامة بالربح في البضاعة، وتنزَّهوا عن التقصير والغفلة والإضاعة، ولبسوا ثياب التقى وارتدوا بالقناعة، فيا فخرهم إذا قامت الساعة، وقد قربت إليهم مطايا التكريم! ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣].

طال ما تعبت أجسامهم من الجوع والسهر، وكَفَّت جوارحهم عن اللهو والأشر، وحبسوا أعراضهم عن الكلام والنظر، وانتهوا عما نهاهم وامتثلوا ما أمر، وتغنَّوا بكلامه والقلب قد حضر، واستعدوا من الزاد ما يصلح للسفر، فالخوف يقلقهم فيمنعهم قضاء الوطر، والعبرة تجري والقلب قد اعتبر، فيا حسنهم في جوف الليل ووقت السحر! السر صافٍ والحال مستقيم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣]

جَنَّ الظلام فزمت مطاياهم، وجاء السحر فتوفرت عطاياهم، وكثر الاستغفار فحطت خطاياهم، وكلما طلبوا من فضل سيدهم أعطاهم، فسبحان من اختارهم من الكل واصطفاهم، وخلَّصهم بالإخلاص من شوائب الكدر وصفَّاهم، فليس المقصود من الخلق بالمحبَّة سواهم، أزعجتهم عواصف المخافة فتداركهم من الرجاء نسيم! ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣].(١)

(١) التبصرة ص٢٢٧.

مهلًا! أيا خاطب الجنة: ماذا نسيت مما تشتهي.. هل تتذكر أو تريد من يذكرك؟

وفي الجنة.. هناك رأيتَ رجلًا يطلب خيلًا فإذا الخيول قد ملأت عليه جنانه تزين الجنات والجنات تزينها.. فاشتهيت الخيل فإذا هي أمامك تطلب حنان يدك.. لربما دمعت عينُك فرحًا وأنت تذكر أن رجلًا قال للمصطفى المختار ﷺ: يا رسول الله! إني أحبُّ الخيل فهل في الجنة خيل؟ فقال:

«إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تَرْكَبَ فَرَسًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ تَطِيرُ بِكَ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شِئْتَ، إِلَّا فَعَلَتْ» فقال أعرابي: يا رسول الله، إني أحب الإبل! هَلْ فِي الجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ قَالَ: «إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الجَنَّةَ يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ»(١).

حسبك أيها المشتاق أن تذكر نداء الحق:

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف:٧١].

(١) أبو داود الطيالسي (٨٤٣)، أحمد (٢٢٩٨٢)، الترمذي (٢٥٤٣)، واللفظ له، وقال محققو المسند: "حديث ضعيف، المسعودي -وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة- اختلط بأخرة، وكل من روى عنه هذا الحديث ممَّن روى عنه بعد الاختلاط، ثم فيه علة أخرى، وهي الاختلاف في إسناده على علقمة بن مرثد".

◆ **والآن أيا عاشق الجنة: مهلًا! أيا خاطب الجنة:** ماذا نسيت مما تشتهي.. تَذَكَّرْ.. أو تريد من يذكرك؟

نعم! إنهم أهل الجنة في ﴿مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ [الأنبياء:١٠٢]، مهما اشتهيتَ لُبِيَ لك حتى إنك لتشتهي "الطائر وهو يطير فيقع لك ولأوليائك نضيجًا في كفِّك، فتأكل منه حتى تنتهي نفسه ثم يطير، فهو وأنت من الخالدين، لكن شتان هو لك أما أنت فمُسَبِّحٌ مُتَنَعِّم، وإنك لتشتهي الشراب فيقع الإبريق في يدك، وتشرب منه ما تريد ثم يرجع إلى مكانه"[1].

◆ **إنها الجنة.. أَجْرِ دمعًا مغزارًا في طلبها، واستعن على ذلك يا طالب الفلاح..** استعن على ذلك بشيءٍ من الدُّلجة والغدو والرَّواح.. وأكثِرْ من سؤال ربنا الكريم فالق الإصباح:

أشكو إليك أُمُورًا أنت تعلمها ◆◆◆ فُتُورَ عَزْمِي وما فَرَطْتُ في عُمُري

وفَرْطَ مَيْلِي إلى الدُّنيا وَقَدْ حَسَرَتْ ◆◆◆ عن ساعِدِ الغدرِ في الآصالِ والبُكَرِ[2]

اكتمال الفرحة.. هاهم أولاء أخلاؤك وأقرباؤك.. إنه اجتماع الشمل والأنس بالأهل:

◆ **أيا صاحب القلب المنيب!** ثم تحدُثُ لك فرحةٌ كبرى، إذ إنك تدخل جنات

(١) انظر: تفسير الطبري٢٥/ ٩٧.

(٢) ديوان ابن مشرف، ص: ٣٣٢.

عدن ويُشار لك بالأصابع من الملائكة والمقربين ويقال عنك: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٢ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٢، ٢٣]، ولكنك لا تدخلها وحدك، بل يدخلها معك الصالحون من أقاربك وأحبابك.. آه لَكَم أخافتك أهوال يوم القيامة، وعظائمها!.. كم زلزل قلبَك الميزانُ، وتطايرُ الكتب عن الشمائل والأيمان! كم أرعبك الصراط وهولُه! كم أخافك ذلك الهول فانشغلتَ وطار قلبُك عن كل خليلٍ لك من أبٍ وأمٍ وبنين وأقرباء!

فالآن.. الآن أيا أيها البار قد مَنَّ الله ﷻ عليك فوصلتَ دار السلام، الآن قد ارتحت واتكأت اتكاءة السعادة الدائمة، وقَرَّتْ عينُك وأنت ترى كلَّ لذَّةٍ تشتهيها وفوقها أضعافًا، فتساءلت عن أخلائك وأحبِّ الناس إليك.

◆ **تساءلتَ: أينَ أمي الحبيبة الغالية؟..**

ما أحلى صلاتها في الدنيا، وقيامها بين يدي ربها خاشعةً!.. ما أجمل دمعتها من خشية الله ﷻ وحبها للطواف حول البيت، وقضاء المناسك خاضعة!.. كم كانت تشتاق لبيت الله الحرام بقلبٍ متلهِّفٍ، وعينٍ دامعة!..

◆ **تساءلتَ: أين أبي الحبيب؟..**

لَكَمْ أسرني تخلقه بأروع أخلاق الصالحين.. لَكَمْ شدَّني تواضعه وظهوره بمظهر المخبتين.. لَكَمْ رفع عزيمتي سَهَرُه.. سهره ولكن مصليًا قانتًا مع القائمين..

◆ **تساءلت: رباه أين زوجتي فلانة؟..**

يا لِحُسْنِ إخباتها حين كنا نهتف باسم الله ﷻ في صباحنا ومسائنا.. ورضانا وغضبنا!..

◆ **تساءلتَ: أين بَنِي؟.. أين أبنائي:**

ثمار قلبي، ومهج فؤادي، وابتهاج روحي.. كم حاولتُ تربيتهم على ذكر الله.. وحب الله.. وولاية الله؟

◆ **تساءلتَ: أين إخواني؟..**

كم كنا نتذاكر اليوم الآخر فيُقرون بذنوبهم للرحيم الغفور.. وتجري أعينهم لهفى يبغون التوفيق إلى الصراط المستقيم في الدنيا.. والوصول إلى الفوز في الأخرى.. يرفعون أيديهم يطلبون المغفرة على التقصير.

◆ **لربما تساءلتَ: أين أخي فلان؟..**

لَكَمْ أعانني على النوائب، وثبتني على صراط الله العظيم على الرغم من تتالي المصائب.

عندها جاءتك فرحةٌ ليس لها مثيلٌ.. لقد أدخلك الله ﷻ جنات عدن.. نعم.. وأدخلهم معك ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] يصف ربي -عزَّ جاره- ذلك تبشيرًا للمفلحين من عباده فيقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١] فساوينا بين الكل في المنزلة لتقرَّ أعينهم،

وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضُّلًا منا ومِنَّة، اسمع لوصف ذلك من سعيد بن جبير رحمه الله:

(إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم، فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل، فيقول: إني إنما عملتُ لي ولهم فيُلحقون به في الدرجة)[1].

في هذه الجنات ائتلف شملكم مع الصالحين من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم.. دخلوا الجنة بصلاحهم واستحقاقهم.. ولكنهم يكرمون بتجمع شتاتهم، وتلاقي أحبابهم، وهي لذةٌ أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان.

في دارِ عَفْوِك ربِّ فاجمعْ شَمْلَنا ••• وامْنُنْ بفضلٍ منكَ يا مولانا

أَكْرِمْ بجُودِكَ ربَّنا أحبابَنا ••• في هذه الدُّنيا وفي أُخْرانا

واسْتُرْ لنا الزَّلَّاتِ واغْفِرْ ذَنْبَنا ••• رَبَّاه لا تَقْطعْ بذاكَ رَجَانا[2]

نعيم الجنة، ونعيم الدنيا.. لا مقارنة:

وتفكرت أيا حبيباه فيما تراه من نعيم الجنة وبهجتها.. ولكن أَتُقارِن ما يوجد في الدنيا من لَذَّةٍ بها؟ لا! فقد وعيتَ الآن معنى القاعدة العامة: «ليس في الجنَّة شيء ممَّا

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٣.

(٢) الأبيات لسعيد بن دحاج -وفقه الله-.

في الدُّنيا إلَّا الأسماء»[1] فارجع طرفك للدنيا وقل لصاحبها ممن اغترَّ بها:

لا يُلْهِينَّـك مَنْـزِلٌ لَعِبَـتْ بـه ... أَيْدِي البِلى مُذ سَـالِفِ الأَزْمَانِ

فَلَقَـدْ تَرَحَّـلَ عَنْـهُ كُلُّ مَسَـرَّةٍ ... وَتَبَدَّلَـتْ بِالهَـمِّ والأَحْـزَانِ

سِـجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الإِيمَانِ لَ ... ـكِنْ جَنَّةُ المأوَى لِذِي الكُفْرانِ

سُـكَّانُهَا أَهْـلُ الجَهَالَـةِ والبَطَـا ... لَةِ وَالسَّـفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّـكَّانِ

وَأَلَذُّهُـمْ عَيشًـا فَأَجهَلُهمْ بحـقِّ ... اللهِ ثُـمَّ حَقَائِـقِ القُـرْآنِ

عَمَرَتْ بِهِمْ هذِي الدِّيَارُ وأَقْفَرَتْ ... مِنْهُـمْ رُبُـوعُ العِلْـمِ والإِيمَانِ

قَـدْ آثروا الدُّنْيَـا وَلَذَّةَ عَيْشِـهَا الْـ ... ـفَانِي عَلَى الجَنَّاتِ والرِّضْوَانِ[2]

يا أهل الجنة تلذذوا.. تمنوا.. تنعموا.. ولكم بعد ذلك ما هو أكثر فاسمعوا معه نداء الحق الدائم حواليكم: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥] مما لا يخطر لكم على بال، ولا تستطيعون تصوره لتتمنوه، أو تشتهوه، نعم لكم الجنة وزيادة.. وَضَعْ كلَّ ما يخطر على بالك من معاني الزيادة هنا.. إن لكم ذلك أيها المتقون.. أو لم تكونوا من المحسنين في عملكم وإنفاقكم وحبكم لأنفسكم وللآخرين.. فالآن خذوا شارة السعادة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

(١) الضياء في المختارة ١٠/ ١٦ موقوفًا على ابن عباس ﷺ، وقال في الترغيب والترهيب ٤/ ٣١٦: "رواه البيهقي موقوفًا بإسنادٍ جيد"، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٨٨)، وصحيح الجامع الصغير (٥٤١٠).

(٢) نونية ابن القيم ٣/ ٩١٥- ٩١٦.

ولربما لهجت عندها مجدِّدًا مسبِّحًا بحمد ربك؛ لِمَا أولاك من عظيم كرمه، وحباك من واسع فضله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

◆ **سبحانك ربي:** غفرت لنا الكثير من السيئات وشكرت لنا اليسير من الحسنات.. فلك الحمد.. فقل لمتعجِّبٍ يرى شدَّة حبِّك لتلك الربوع.. يرى تساقط الذهب يبرقُ في الدموع:

أَنْكَرْتَ ذُلِّي فَأيُّ شَيءٍ ◆◆◆ أحسَنُ مِنْ ذِلّةِ المُحِبِّ؟

أَلَيسَ شَوْقي وَفَيضُ دَمْعِي ◆◆◆ وَضَعْفُ جسمي شُهودَ حُبِّي؟[1]

الجنة.. ما هذا الاسم المميز المبارك العظيم[2]؟

◆ **هنا ربما تساءلت عن سبب تسمية الجنة بهذا الاسم المميز المبارك العظيم؟**

ربما تعرف معرفة حق اليقين، وأنت تتجول في أرجائها، وأنحائها حيث ترى ما يقطع الأنفاس ويجذب دون مللٍ أنظار الناظرين.

وعندها تعلم أن الجَنَّة سميت بذلك:

◆ **أولًا:** لأن المسلمين يصيرون إليها فِي الْآخِرَةِ، وَهي ثَوَابٌ مَسْتُورٌ عَنْهُم في

(١) أنشد هذين البيتين إبراهيم الحربي. ينظر: تاريخ بغداد ٦/ ٥٣٦.

(٢) نقلًا من مفصل تفسير البقرة: المحور الأول (تفسير - بصائر الآيات ٢١-٢٩) (٢/ ٢٣٤).

الدُّنيَا، فلا يستطيعون إدراك عظمتها، وهذا المعنى قرَّره ابن فارس ﷺ، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

◆ **ثانيًا:** لأن الْجَنَّة: الْبُسْتَانُ الذي سَتره شجرُه بِوَرَقِهِ، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ﴾ [سبأ: ١٥]، والجَنَّة: الحديقة ذات الشَّجر والنَّخل والأعناب، وهي مستورة بكثافة فروع الشَّجر وكروم العنب المرفوعة، كما قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ [الكهف: ٣٢]، ويحيط بالجنة عادة النَّخْلُ الطِّوَالُ، فسمِّيت الجَنَّة بذلك؛ لأنها اشتُقَّت من الاجتنان، وهو اختفاء الشَّيء الموجود بغطاء سابغ، فهي التي تغطيها الخضرة بسبب كثافة أوراق الأشجار كالغابات المتزاحمة، والجِنان الخضراء مطمح النُّفوس البشريَّة.

◆ **ثالثًا:** لأنَّ الجنَّة اسم يجمع ما تشتهيه كلُّ نفس من النَّعيم الظَّاهر والباطن، والكلِّيِّ والتَّفصيليِّ، واسم الجنَّة بهذا غير مقتصرة على الأشجار، فقد ضرب الله ﷻ مثلًا صاحب الجنتين في سورة الكهف، وأصحاب الجنة في سورة القلم، ولم يكن تسميةُ ما يملكونه من مُلكٍ كبير جنَّةً لمجرَّد اجتماع الأشجار، أو جريان الأنهار.. بل هي تعبيرٌ عما جَنَتْهُ أشجارها من النَّعيم المُشتهى، والمُلك الاقتصادي الوافر.

ويقرِّر ابن القَيِّم ﷺ ذلك، فيقول عند ذكر أسماء الجنَّة:

«الاسم الأوَّل: الجنَّة: وهو الاسم العامُّ المتناول لتلك الدَّار، وما اشتملت عليه من أنواع النَّعيم، واللَّذَّة، والبهجة، والسرور، وقرَّة الأعين.

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من السَّتر والتَّغطية. ومنه الجنين: لاستتاره في البطن، والجانُّ: لاستتاره عن العيون، والمِجَن: لسَتره، ووقايته الوجه، والمجنون: لاستتار عقله وتواريه عنه، والجانُّ: وهي الحَيَّة الصَّغيرة الدَّقيقة، ومنه قول الشاعر:

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ ◆◆◆ فَلَوْ جُنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جُنَّتِ[1]

أي: لو غُطِّي وسُتِرَ عن العيون لفُعِلَ بها ذلك، ومنه سمِّي البستان جَنَّة؛ لأنَّه يستر داخله بالأشجار ويغطِّيه، فلا يستحق هذا الاسم إلَّا موضع كثير الشَّجَر مختلف الأنواع، والجُنَّة -بالضَّمِّ- ما يُسْتَجَنُّ به من تُرْسٍ أو غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المجادلة: ١٦]، أي: يَتَتَرَّسُونَ بها من إنكار المؤمنين عليهم»[2].

وينير البقاعي ﷺ روحك بفكرة عظيمة تصور سبب هذه التسمية المباركة، فيقول: **«والجنَّات مبهجات للنُّفوس، تجمع ملاذَّ جميع حواسها، تَجُنُّ المتصرِّف فيها، أي: تخفيه، وتَجُنُّ وراء نعيمها مزيدًا دائمًا»[3].**

---

(١) البيت للشاعر الجاهلي الشَّنْفَرى الأزدي. ينظر: المفضليات (ص: ١٠٩)، يقال: قد اسبكرَّت المرأة، اذا تمَّ شبابها.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/ ١٩١-١٩٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (١/ ١٩١).

قال مكي ﷺ: «**وإنما سميت الجنة جنة؛ لأنها تَجُنُّ مَنْ دَخَلَها، أي: تستره بشجرها وثمارها وعروشها**»(١).

وقال الزمخشري ﷺ: «**وكأنها لتكاثفها وتظليلها سمِّيت بالجنَّة، التي هي المَرَّة من مصدر جَنَّهُ إذا ستره، كَأَنَّهَا سُتْرَةٌ وَاحِدَةٌ لِفَرْطِ الْتِفَافِهَا**»(٢).

وقال ملا علي القاري ﷺ: «**الْجَنَّةُ: الْبُسْتَانُ مِنَ الشَّجَرِ الْمُتَكَاثِفِ الْمُطِلِّ بِالْتِفَافِ أَغْصَانِهِ، وَالتَّرْكِيبُ دَائِرٌ عَلَى مَعْنَى السَّتْرِ فِي الْجَنَّةِ وَالْجُنَّةِ وَالْجِنَّةِ وَالْجُنُونِ وَنَحْوِهَا، فَكَأَنَّ الْجَنَّةَ لِتَكَاثُفِهَا وَتَظَلُّلِهَا سُمِّيَتْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ الْمَرَّةُ مِنْ مَصْدَرِ جَنَّهُ إِذَا سَتَرَهُ، كَأَنَّهَا سُتْرَةٌ وَاحِدَةٌ لِفَرْطِ الْتِفَافِهَا، وَسُمِّيَتْ دَارُ الثَّوَابِ جَنَّةً لِمَا فِيهَا مِنَ الْجِنَانِ، أَوْ لِكَوْنِهَا مَسْتُورَةً عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ؛ لِيَكُونَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ لَا بِالْعِيَانِ، أَوْ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْفَى مِنْ قُرَّةِ الْأَعْيُنِ لِأَهْلِهَا الْأَعْيَانِ، وَاللهُ سبحانه وتعالى أَعْلَمُ**»(٣).

إنها الجنة.. إنها الجنة

هكذا عرفنا سرَّ جمال هذه التسمية المميزة لهذا المكان الذي تنتظره الروح في كل جزء منها، وهنا تشعر بلذة ما رواه أَبو حَازِمٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٢٢١).

(٢) تفسير الكشاف (١/ ١٠٦)، ونقل ذلك أيضًا الرازي في تفسيره (٢/ ٢٥٨)، والطيبي في حاشيته (٢/ ٣٥٤).

(٣) مرقاة المصابيح ٨/ ٣٥٧٤.

السَّاعِدِيَّ ﷺ، يَقُولُ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، قَالَ: فَأَخْبَرْتُهَا مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَبُو حَازِمٍ حَدَّثَكَ هَذِهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، إِنَّ ثَمَّ لَكَيِّسًا كَثِيرًا، إِنَّهُمْ يَا هَذَا أَخْفَوْا لِلَّهِ عَمَلًا، فَأَخْفَى لَهُمْ ثَوَابًا، فَلَوْ قَدْ قَدِمُوا عَلَيْهِ أَقَرَّ تِلْكَ الْأَعْيُنَ[1].

(١) الحديث في مسلم (٢٨٢٥)، وكلام محمد بن كعب في صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٢٤).

المشهد الخامس

مشاهدُ مُبْهِرَة، وذكرياتٌ مستحضرَة
افتح عينيك: إنها الجنة.. إنها الجنة

أيها المخبت المنيب:

وأنت متكئ في قصرك ربما عادت ذكرياتك إلى الدنيا.. واشوقاه لحال يحضر تلك الذكريات!.. قد تتذكر أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ، وهو ينقل إلى أسماعك التشويق الضخم لجَنَّة رب العالمين، وما فيها من مُتَعٍ تُسيل لعاب المغامرين العاشقين؛ إذ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ أَبَدًا فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ، وَفَاكِهَةٍ وَخُضْرَةٍ، وَحَبْرَةٍ وَنِعْمَةٍ، فِي مَحِلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ»، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، قَالَ: «قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ»، فَقَالَ الْقَوْمُ: إِنْ شَاءَ اللهُ[1].

(١) ابن ماجه (٤٣٣٢)، ابن أبي الدنيا في "صفة الجنة"، ص: ٤١، رقم (٢)، وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة" ٤/ ٢٦٥: «هَذَا إِسْنَاد فِيهِ مقَال، الضَّحَّاك الْمعَافِرِي ذكره ابْن حبَان فِي الثِّقَات، وَقَالَ الذَّهَبِيّ فِي "طَبَقَات التَّهْذِيب": مَجْهُول، وَسليمَان بن مُوسَى الْأَمَوِي مُخْتَلف فِيهِ، وَبَاقِي رجال الْإِسْنَاد ثِقَات».

مَنْ مرافقوك في الجنة أيها المخبت المنيب بجوار ذلك الغلام المُدَلَّل من ولدان أهل الجنة مع أن الله ﷻ يدخلك وأصحابك المباركين الجنة عرَّفها لكم؟

◆ مَنْ مرافقوك؟ هل تعلم مَنْ؟

إليك مفاجأة جميلة يذكرها الضَّحَّاكُ رحمه الله فيقول:

«إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ الْجَنَّةَ دَخَلَ أَمَامَهُ مَلَكٌ فَأَخَذَ بِهِ فِي سِكَكِهَا، فَيَقُولُ لَهُ: انْظُرْ مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَكْثَرَ قُصُورٍ رَأَيْتُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَأَكْثَرَ أَنِيسٍ، فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: فَإِنَّ هَذَا أَجْمَعَ كُلُّهُ لَكَ، حَتَّى إِذَا دُفِعَ إِلَيْهِمُ اسْتَقْبَلُوهُ مِنْ كُلِّ بَابٍ وَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ نَحْنُ لَكَ نَحْنُ لَكَ، يَقُولُ: امْشِ فَيَقُولُ: مَاذَا تَرَى؟ فَيَقُولُ أَرَى أَكْثَرَ عَسَاكِرَ رَأَيْتُهَا مِنْ خِيَامٍ رَأَيْتُهَا وَأَكْثَرَ أَنِيسٍ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا أَجْمَعَ كُلُّهُ لَكَ فَإِذَا دُفِعَ إِلَيْهِمُ اسْتَقْبَلُوهُ يَقُولُونَ: نَحْنُ لَكَ، نَحْنُ لَكَ»[1]..

إيهٍ يا عبد الله لقد أوتيت حشمًا وخدمًا ورزقًا وفيرًا، ودورًا وقصورًا وخيرًا كثيرًا، و﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠].

ويقرب حُمَيْد بْن هِلَالٍ رحمه الله لنا ذلك المشهد الجميل المشوق، فيقول: «**ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ صُوِّرَ صُورَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأُلْبِسَ لِبَاسَهُمْ، وَحُلِّيَ حِلْيَتَهُمْ،**

(١) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (ص٥٢)، برقم ٢٥، وصحح المحقق إسناده إلى الضحاك.

وَأُرِيَ أَزْوَاجَهُ، وَخَدَمَهُ، يَأْخُذُهُ سُوَارُ فَرَحٍ[1]، لَوْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَمُوتَ لَمَاتَ مِنْ سُوَارِ فَرَحِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ سُوَارَ فَرْحَتِكَ هَذِهِ، فَإِنَّهَا قَائِمَةٌ لَكَ أَبَدًا»[2].. وهذا نعيم لا يعادله نعيم.. انبساطة النفس وفرحها وسرورها بما آتاها الله ﷻ لذة باطنة.. فما بالك إذا دامت هذه اللذة يغمرك حبورها ويغشاك حضورها ويدوم سرورها.. ولم لا يكون الأمر كذلك وقد كنت تكثر من سؤال مولاك في صباحك ومساك:

«وأسألك قرة عين لا تنفد ولا تنقطع»[3].

لقد اجتمعت لك الأفراح، ودارت على عقلك ذكريات الغدو والرَّواح، وكيف لا؟ فالعيش طاب، والخير كثر وغَزُرَ وانساب، وأنت في خير مآب.

فأنت أن تشاهد مشهدًا عجيبًا ينقله لنا المصطفى المختار ﷺ عبر الأزمان والأعصار، فيقول:

«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ».

(١) سوار الفرح: حدته وشدته وتعاظمه. ينظر: مقاييس اللغة ٣/ ١١٥، لسان العرب ٤/ ٣٨٤.

(٢) "الزهد والرقائق"، لابن المبارك (٤٢٩).

(٣) المستدرك، ط/ دار الرسالة (١٩٤٤). وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال محققو المستدرك: "إسناده صحيح".

ولكن المشهد لم يكتمل إذ ربما ينظر الناس، فيرون أنه:

«يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةً قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(١).

وبعد ذلك -ربما شعرت بهذه الغمسة حينما وصلت إلى أبواب الجنة فشممت رياحينها، وسحرتك أفانينها، وشعرت بجمالها ولذاتها، وحينها نسيت كلَّ آلام الدنيا، فكأنَّ كلَّ شِدَّة لم تكن، وكأنَّ كلَّ همٍّ وغمٍّ لم يمرا بك في حياتك، وكأنَّ كلَّ مصيبة مررت بها لم تحدث.. إنك لا تذكر شيئًا من ذلك سوى النعيم العظيم الذي شعرت به حينما غمست غمسة واحدة في الجنة.

والآن أيها الطَّموح إلى أعظم الأهداف، أيها الباحث عن تحقيق الفوز في التحدي الحقيقي.. يا من تريد أن توصف بجميل الأوصاف:

ليس هذا نسجًا من خيال، أو بدعًا من مقال، أو مثالًا من مثال.. إنما هي المشاهد المنقولة صدقًا.. المنتظرة حقًّا.. تقرؤها الآن سطورًا.. وعمَّا قليل تتجسَّد واقعًا منظورًا.. وحدثًا مشهودًا منشورًا.. وخبرًا مذاعًا مشهورًا.

(١) مسلم (٥٥).

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

على مشارف الجنَّة... ..... ٦

واهًا لريحِ الجَنَّة ٦

المشهد الأول: إني أرى ما ليس عليه صبر يا قوم روِّحوا بنا إلى الجنة ٧

الوصول إلى الجهة الأخرى: ألا تهنئون بعضكم بعضًا بالنجاة؟ ٧

الرائحة الساحرة الزكية.. والنفحة العطرية البهية: ٩

مرسوم إلهي يغمر بدفئه الوجدان، ويطمئن الفؤاد الولهان: إنه جواز الدخول إلى عالم الأفراح في الجنان: ١٠

السابقون إلى الجنة.. وفي ذلك -لا في غيره- فليتنافس المتنافسون: ١٠

«الحمادون» عُظماء في الدنيا.. عُظماء في الآخرة: ١١

أيها الفقراء المستضعفون الحامدون الباذلون أبشروا فقد نجحتم في الابتلاء: أنتم المُقَدَّمون السابقون: ١٤

احتفال خاصٌ بهم: ١٦

اندهاش خزنة الجنة من هذا الفوج السابق: ١٨

حبيبٌ من أهل الجنة سبق.. يخاطب حبيبه: أيْ أخي ما حبسك؟ ١٩

ثلة الأوائل: لا حساب عليكم أصلًا فماذا تنتظرون؟ هاهي أبواب الجنة مشرعة.. هلمَّ فاقصدوا منها واحدًا: ٢٠

هنا ربما هفت نفسك -أيها المخبت المنيب، أيها الطامح المستجيب-، فتساءلت: من هم الأوائل الذين يدخلون؟! من هم الأوائل الذين يسبقون؟! من هم الأوائل المكرمون؟! ٢١

نجوم لامعة.. لا بل أقمار ساطعة: ٢٢

نداء الحب، وهتافات التهاني.. تُرف للسابقين.. أأنت أيا صاحب القلب المنيب منهم؟ ٢٣

نداء الكبير المتعال: أذهبَ الحزن، وأزاحَ الوهن، وأراح الفؤاد: ٢٥

في طريق الشوق إلى الجنة.. تحيةٌ وتثبيتٌ من أهل الأعراف: ٢٧

من النعيم.. تبكيت المستكبرين، والثناء على الفائزين: ٣٠
المشهد الثاني على مشارف الجنة التهيئة لدخول الجنة **٣٣**
التهيئة النفسية لدخول الجنة: على صراطٍ ثان.. جسرٍ آخر.. لكن اطمئن: ٣٣
ومن نماذج الإصلاح بينهم ومقاصتهم الحقوق: مشهدٌ صوَّره النبي ﷺ كأننا نحضره: ٣٥
يا خاطب الجنة: نعمة نزع الغل من أعظم النعم التي تُهدى لك في آخرتك: ٣٧
وبعد قليلٍ ستطيب أجسادهم فنادهم في مكانهم: ٣٨
هاهي الجنة قد أُزلفت غير بعيدٍ.. أتستطيع أن تُفصِح عن مشاعرك؟! ٣٩
هناك انبعثت الذكريات، واغرورقت المُقَلُ، بالدموع السوافح ٤٠
وفد الرحمن المظفر ينطلق نحو الجنة لا حائل إلا مسافة الطريق فكيف اللقاء؟ ٤١
على مشارف أبواب الجنة: ٤٤
يا صاحب القلب المنيب وأنت تقف على مشارف دار السلام: ٤٨
كم جعل الله لك من كرامةٍ على البشر في الدنيا والأخرى يا سيدي يا رسول الله: ٤٩
يا حبيب الجنة: الجنة تطالب بك.. وتشتاق إليك: ٥٢
انظر هناك: إنها أبواب الجنة المفتوحة: ٥٣
أيها المفلحون: آن أوان تكملة التهيئة الجسدية لدخول الجنة: ٥٤
المشهد الثالث عند أبواب دار السعادة الاستقبال الحافل والمفاجآت الممتعة **٥٨**
تحية خزنة الجنة عند الدخول: لقد طبتم ظاهرًا وباطنًا.. فادخلوها آمنين: ٥٨
ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون: ٦٠
أول زمرةٍ وثاني زمرةٍ يدخلون الجنة منكم.. كيف هؤلاء الأمراء المحظوظون؟ ٦٢
أمام أبواب الجنة نداء رخيٌ لك أيا صاحب القلب المنيب: ٦٣
مفاجأةٌ ممتعةٌ: استقبالٌ حافلٌ من الولدان المخلدين: ٦٤
حركةٌ مفاجئةٌ: ولدٌ ذكيٌ من الولدان يسبقك ليخبر أهلك: ٦٦

انظر الآن إلى هيئتك وأنت تدخل الجنة: ٦٨
نداء الله الجليل المتعال لك وللركب المفلحين وأنتم تدخلون الجنة: ٦٩
لا تحتاج إلى من يدلك على مملكتك فأنت تعرف طريقك إليها: ٧٠
أبواب الجنة التي تغلق وتفتح تلقائيًا: ٧١
المشهد الرابع أخيرًا.. اتكاء الراحة الأبدية ٧٣
أول نظرةٍ على قصرٍ من قصور مملكتك الرحيبة: ٧٣
نظرةٌ إلى بعض قصورك، وترتيب الغرف بداخلها: ٧٤
يا صاحب القلب المنيب: للجنة تسكب العبرات.. وعند الاطمئنان بدخولها تنهال الذكريات: ٧٧
أخيرًا: متكأ الراحة الأبدية في جنة المأوى: ٨٠
ضيافة الرحمن الفورية: ٨٣
لكم منازلكم وترثون منازل الكفار.. وتنادونهم تبكيتًا: هل وجدتم ما أخبرناكم؟! ٨٣
الملائكة يدخلون من كل بابٍ دخول الخدمة والمحبة: ٨٥
خدمك من الولدان.. من أعظم النعيم في الجنان: ٨٥
في جلسةٍ خلويةٍ مع النفس: تفكر ماذا ستطلب في الجنة؟ ٨٦
مهلًا! أيا خاطب الجنة: ماذا نسيت مما تشتهي.. هل تتذكر أو تريد من يذكرك؟ ٩٠
اكتمال الفرحة.. هاهم أولاء أخلاؤك وأقرباؤك.. إنه اجتماع الشمل والأنس بالأهل: ٩١
نعيم الجنة، ونعيم الدنيا.. لا مقارنة: ٩٤
الجنة.. ما هذا الاسم المميز المبارك العظيم؟ ٩٦
إنها الجنة.. إنها الجنة ٩٩
المشهد الخامس مشاهدُ مُبْهِرَة، وذكرياتٌ مستحضرَة افتح عينيك: إنها الجنة.. إنها الجنة ١٠١
أيها المخبت المنيب: ١٠١
فهرس الموضوعات: ١٠٥

بصائر المعرفة القرآنية

(٢٤)

سلسلة فقه القدوم على الله

السلسبيل المورود قصة رحلة الخلود

الكتاب الأول

أفراح بين السماء والأرض إلى الرفيق الأعلى الأسعد

في عالَمٍ يَمُورُ بالأحداثِ والمُجْرَيات تِباعًا، ويتفنَّنُ الشَّيطانُ وقَبيلُهُ في عرضِ أباطيلِهم، ويُجْلِبون بِخَيلِهم ورَجلِهم للإيقاعِ في صفوفِ المؤمنين، والإيقاعِ بجُموعِ المُوَحِّدين في مهاوي الرَّدى وصحراء التِّيْهِ المعاصر، وفي سعيٍ حثيثٍ دائبٍ غيرِ ممنونٍ يقدِّمون بِضاعتَهم الفاسدةَ المفسدةَ على صُوَرٍ تختلبُ القلوبَ، وتسحرُ الألبابَ سواء بما تَخُطُّهُ أقلامُهم المسمومةُ، أو تَبُثُّهُ قنواتُ عُهْرِهِم مِنَ البرامجِ المَلْغُومة... في ظِلِ هذا الزَّخَمِ المَهْولِ للإنتاجِ الأدبيِّ والإعلاميِّ الإبليسيِّ الدَّجَّاليِّ، كان لا بُدَّ من مدافعة الحرفِ بالحرفِ والكلمةِ بالكلمةِ... مِنْ هنا جاءت فكرةُ هذا العملِ: (سلسلةُ رحلةِ الخُلُود) التي صدرت على هيئة مِنَ الكتابةِ فريدة في بابها، معجبة في سَرْديَّةٍ أحداثُها أخَّاذةٌ بتصويرِها وتَجْسيدِها للأحداثِ المستقبليَّةِ التي سيَشهدُها واقعًا شابٌّ أحبَّ اللهَ عز وجل بِكُلِّيَةِ قَلْبِهِ، فأحاطه اللهُ عز وجل بوافرِ عنايتِه، ولَاحَظَهُ بِلُطْفِ حنانِه في جميع محطَّاتِ حياتِه الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ.

(سلسلةُ رحلةِ الخُلُود) تصويرٌ بديعٌ لإرهاصاتِ الانتقالِ من هذه الدَّارِ إلى دارِ المآلِ والقرارِ، ابتداءً بالموتِ ومفارقةِ الرُّوحِ الجسدَ، ثُمَّ الحياةِ البَرزخيَّةِ، ثُمَّ ما يتلو ذلك من مشاهدِ اليومِ الآخِرِ، وقيامِ السَّاعة، ودخولِ الجَنَّةِ وما فيها مِنْ صُوَرِ النَّعيمِ المُقيمِ واللُّطفِ الكريمِ.

بصائر المعرفة القرآنية

٢٦

سلسلة فقه القدوم على الله

السلسبيل المورود قصة رحلة الخلود

الكتاب الثالث

على مشارف الجنة، وأهوال يوم الجنة

في عالَمٍ يَمُورُ بالأحداثِ والمُجْرَيات تِباعًا، ويتفنَّنُ الشَّيطانُ وقَبيلُهُ في عرضِ أباطيلِهم، ويُجْلِبون بِخَيلِهم ورَجلِهم للإيقاعِ في صفوفِ المؤمنين، والإيقاعِ بجُموعِ المُوَحِّدين في مهاوي الرَّدى وصحراء التِّيْهِ المعاصر، وفي سعيٍ حثيثٍ دائبٍ غيرِ ممنونٍ يقدِّمون بِضاعتَهم الفاسدةَ المفسدةَ على صُوَرٍ تختلبُ القلوبَ، وتسحرُ الألبابَ سواء بما تَخُطُّهُ أقلامُهم المسمومةُ، أو تَبُثُّهُ قنواتُ عُهْرِهِم مِنَ البرامجِ المَلْغُومة... في ظِلِ هذا الزَّخَمِ المَهْولِ للإنتاجِ الأدبيِّ والإعلاميِّ الإبليسيِّ الدَّجَّاليِّ، كان لا بُدَّ من مدافعة الحرفِ بالحرفِ والكلمةِ بالكلمةِ... مِنْ هنا جاءت فكرةُ هذا العملِ: (سلسلةُ رحلةِ الخُلُود) التي صدرت على هيئة مِنَ الكتابةِ فريدة في بابها، معجبة في سَرْديَّةٍ أحداثُها أخَّاذةٌ بتصويرِها وتَجْسيدِها للأحداثِ المستقبليَّةِ التي سيَشهدُها واقعًا شابٌّ أحبَّ اللهَ عز وجل بِكُلِّيَةِ قَلْبِهِ، فأحاطه اللهُ عز وجل بوافرِ عنايتِه، ولَاحَظَهُ بِلُطْفِ حنانِه في جميع محطَّاتِ حياتِه الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ.

(سلسلةُ رحلةِ الخُلُود) تصويرٌ بديعٌ لإرهاصاتِ الانتقالِ من هذه الدَّارِ إلى دارِ المآلِ والقرارِ، ابتداءً بالموتِ ومفارقةِ الرُّوحِ الجسدَ، ثُمَّ الحياةِ البَرزخيَّةِ، ثُمَّ ما يتلو ذلك من مشاهدِ اليومِ الآخِرِ، وقيامِ السَّاعة، ودخولِ الجَنَّةِ وما فيها مِنْ صُوَرِ النَّعيمِ المُقيمِ واللُّطفِ الكريمِ.